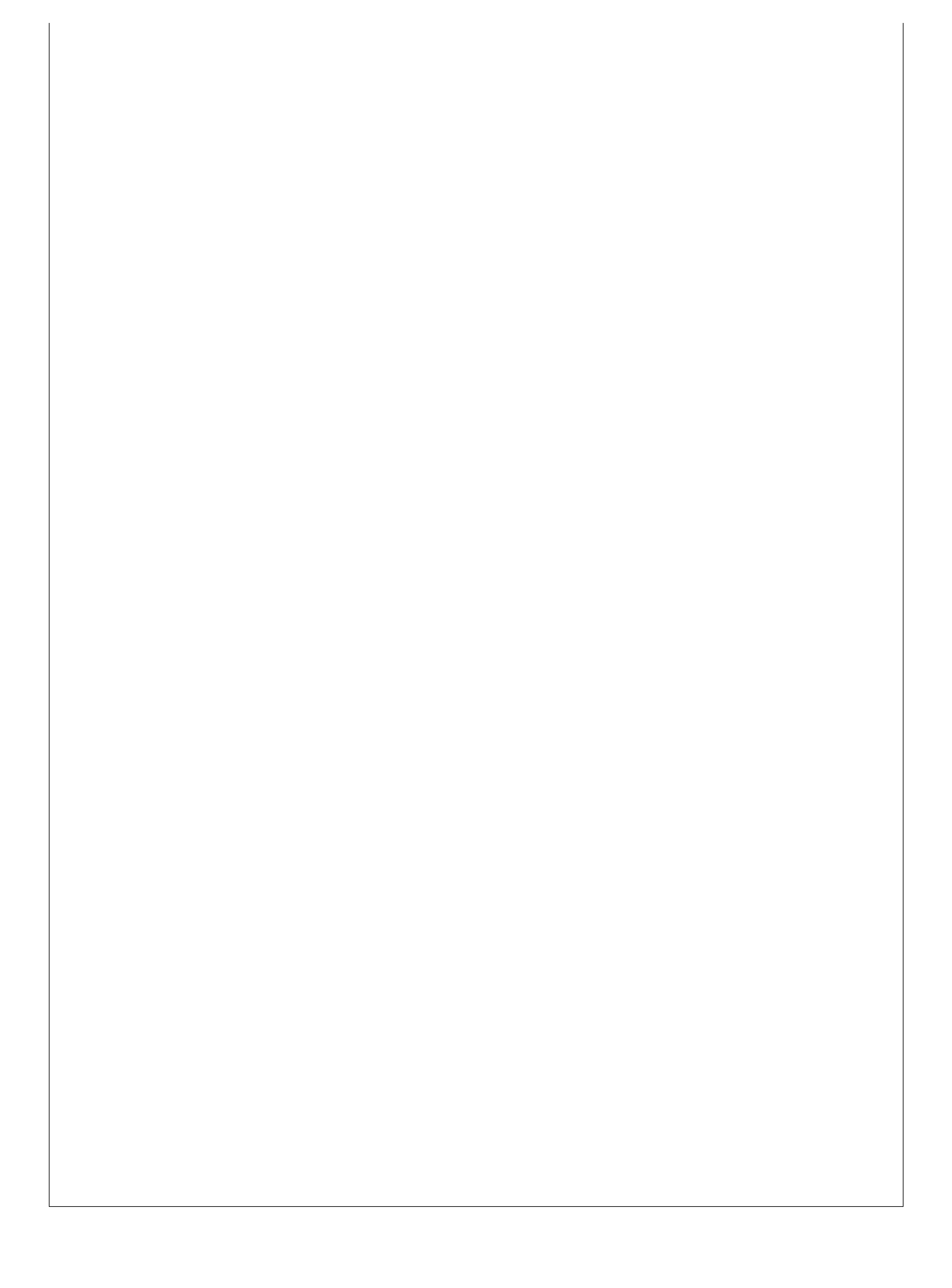
إصلاح الأمة

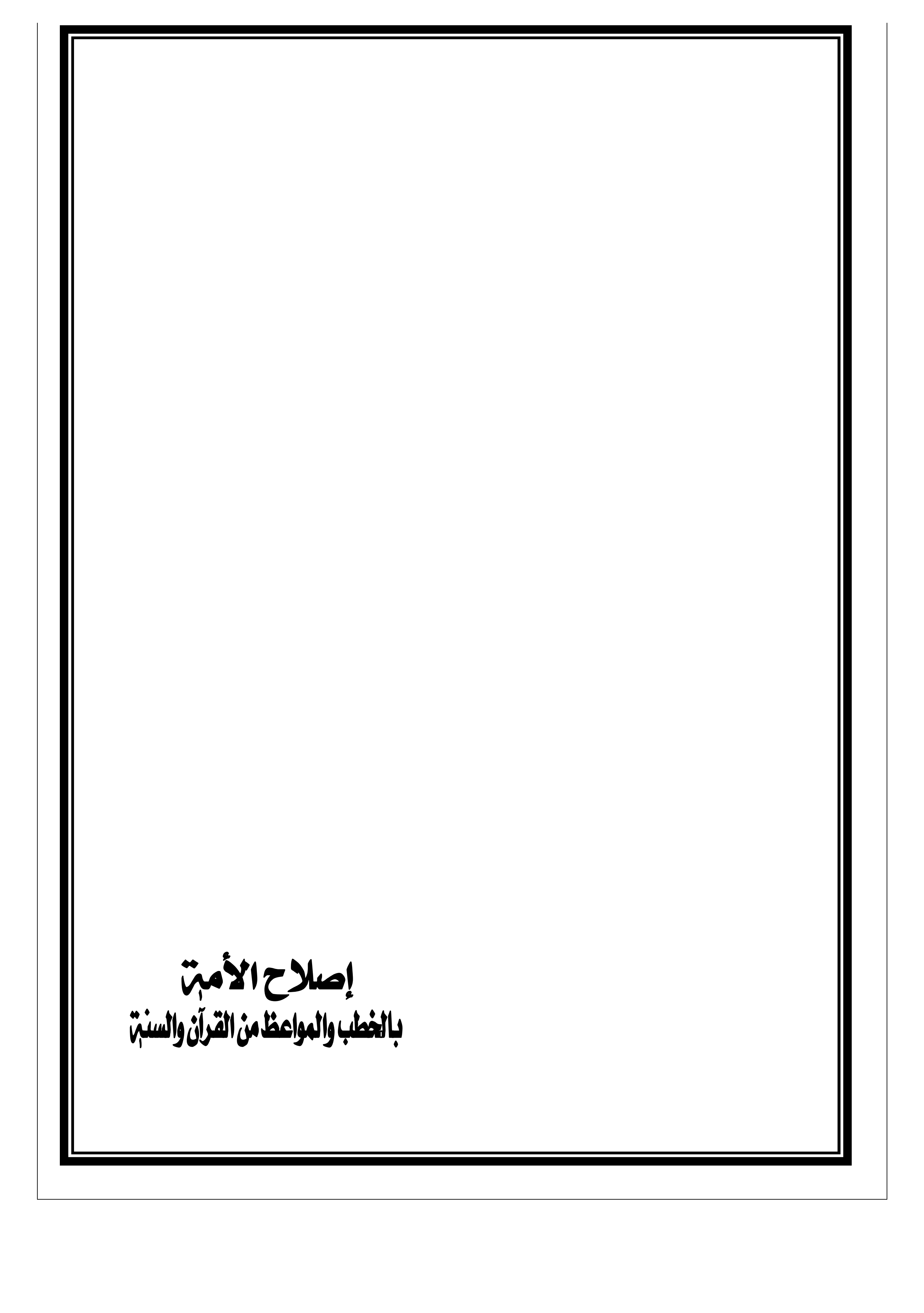
بالخطب والمواعظ من القرآن والسنة

لفضيلة الشيخ

أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري

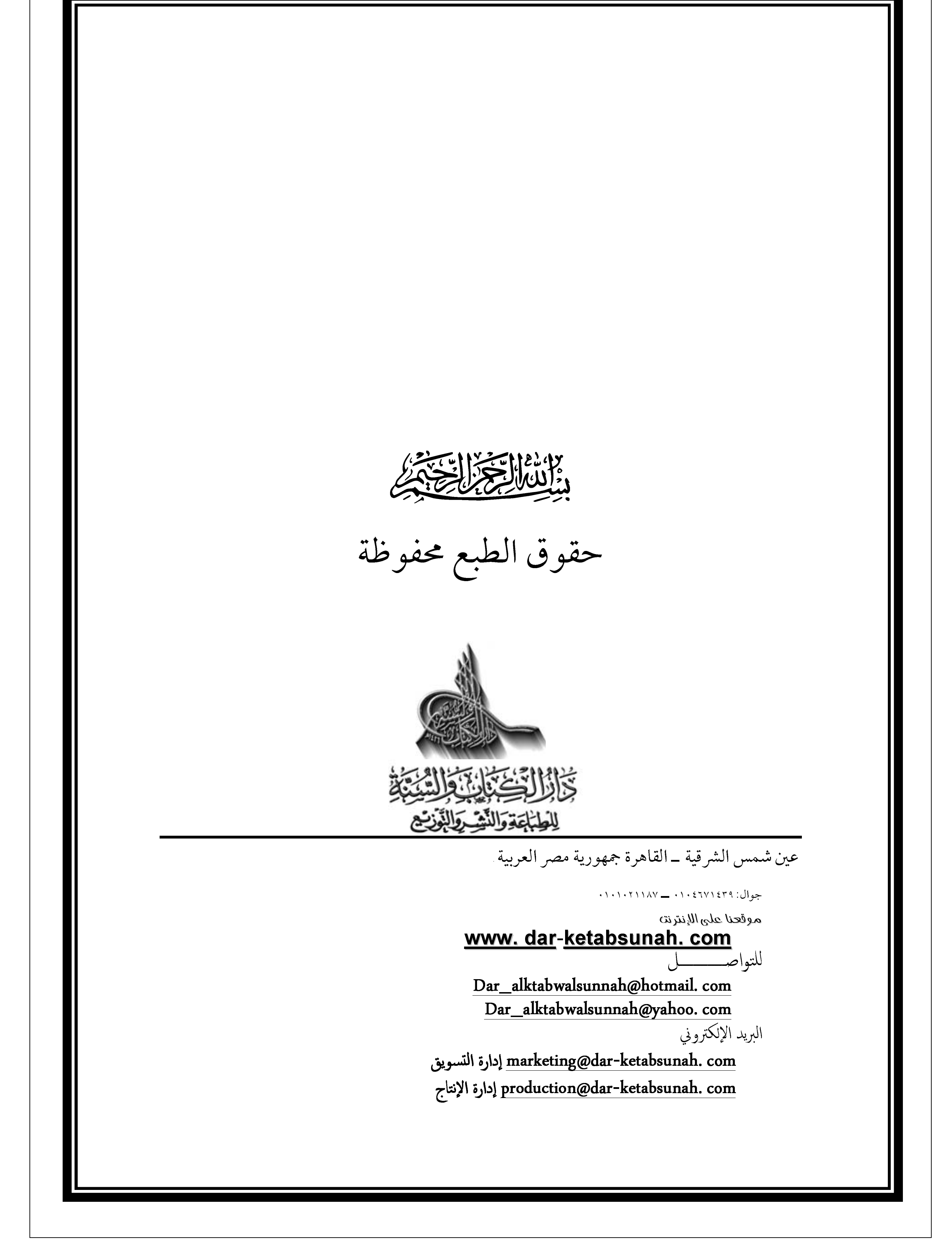
حفظه الله تعالى





إصلاح الأمة

بالخطب والمواعظ من القرآن والسنة



بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

دار الكتاب والسنة
للطباعة والنشر والتوزيع

عين شمس الشرقية ـ القاهرة جمهورية مصر العربية.

جوال: ٠١٠٤٦٧١٤٣٩ ـ ٠١٠١٠٢١١٨٧

موقعنا على الإنترنت
www. dar-ketabsunah. com

للتواصـــــــل
Dar_alktabwalsunnah@hotmail. com
Dar_alktabwalsunnah@yahoo. com
البريد الإلكتروني

إدارة التسويق marketing@dar-ketabsunah. com
إدارة الإنتاج production@dar-ketabsunah. com

العبودية

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[1].

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

يقول الله جل في علاه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٧-٥٨].

ويقول الله تبارك اسمه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥)، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما وكل ضلالة في النار ليست عند مسلم،أخرجها النسائي.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]

فيتبين من هذه الآيات أن أشرف شيء في هذه الحياة، وأجل شيء فيها؛ يتمثل به الإنسان، هو عبادة رب العالمين سبحانه وتعالى، وذلك يستوعب جميع حياته: في يقظته، ونومه، وسيره، ووقوفه، وبقائه؛ فإن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه.

أيها الناس: إن الله ما أكرم عبدًا بأكثر من إكرامه له بطاعته وعبادته له سبحانه وتعالى، كما قال ربنا عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

فالله سبحانه وتعالى أخبر أن أولياءه الذين يدافع عنهم، ويعادي من عاداهم، ويوالي من والاهم؛ هم عِباده سبحانه وتعالى، المتقون، المؤمنون به سرًّا وجهرًا، ظاهرًا وباطنًا سبحانه.

فلتكن كذلك -يا عبد الله- ممن هو عبدٌ لله حقًا، فإن الله عز وجل قد أخبر بأمور عظام يوم القيامة، لا ينجو منها إلا من حقق العبودية لله رب العالمين، من الأنبياء وأتباعهم من الصالحين، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ * إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ * وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾ [ص:٤٥-٤٧].

وأثنى الله عز وجل على نبيه ﷺ بصفة العبودية مع أنه في مقام الرسالة والنبوة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الإسراء:١]، وهو نبيه ومصطفاه.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾ [النجم:١٠].

هكذا من حقق عبودية الله عز وجل فصار ذليلًا خاضعًا لله سبحانه وتعالى في أقواله وأعماله وأفعاله، وفي جميع حركاته وسكناته.. فكان كله لله وحقًّا هو عبدٌ لله جل في علاه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢].

وتلك الأمور العظام يوم القيامة لا ينجو منها ولا يخلص إلا من حقق مرضاة الله؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا * ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴾ [مريم:٧١-٧٢].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ * وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا * لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ * مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ * تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ * فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا * إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا *

وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ * وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج:٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧].

في هذا اليوم الذي سمعتم ذكره وطوله ومداه، يمر على بعض الناس وهم في ظل عرش الله عز وجل، ويمر على آخرين وهم في غاية من الذعر والخوف والرعب والشدة، وكل الناس في ذلك الموقف على قدر ما عندهم من العبودية لله سبحانه وتعالى؛ فإن صحح عبودية الله من توحيد وإخلاص وصدق معه فإنه يمر عليه ذلك اليوم وهو في ظل عرش الله، وإن كان من أهل الباطل ممن ذكرهم الله سبحانه وتعالى في تلك الحالات المزعجة، والعذاب وطول الوقوف يطول بهم المقام حتى يتمنوا أن يقضى في أمرهم ولو إلى النار ـ أعاذنا الله وإياكم منها كما في حديث الشفاعة الطويل.

عباد الله: في ذلك الموقف العظيم، الذي تدنو فيه الشمس من رءوس الخلائق لا يوجد ظل إلى ظل عرش الرحمن وفي ذلك الظل من ذكرهم النبي ﷺ، مذكورون في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفي غيره من الأحاديث الصحاح الثوابت عن رسول الله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد، ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني**

أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»(١).

فبدأ بهذا بالإمام العادل الذي نفعه نفع للمسلمين، وإن فسد فضرره ضرر للمسلمين، فهو مسئول عن غيره، فبدأ رسول الله ﷺ بالإمام العادل قبل غيره؛ لأنه إن عدل كان ممن يستحق ظل عرش الله في ذلك الموقف الصعب، وقد قال النبي ﷺ: «**إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة، الذين يعدلون في أهليهم وحكمهم وما ولوا**» (٢)، فمن عدل في حكمه، وفي رعيته، وفي أقواله وولايته؛ استحق ظل عرش الله عز وجل في يوم يبلغ العرق ببعض الناس إلى أذنيه، كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقف الناس لربهم يوم القيامة حتى يبلغ العرق منهم إلى آذانهم**».

أي: أن الناس يتفاوتون في ذلك الموقف، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا، جاء هكذا في حديث المقداد رضي الله عنه، وفي أحاديث رسول الله ﷺ بيان جلي واضح في تفاوت الناس بقدر عبادتهم واستقامتهم في هذه الحياة الدنيا، ألا فليحقق من أراد السعادة لنفسه عبودية الله جل وعلا.

---

(١) أخرجه البخاري رقم(٦٦٠)، ومسلم رقم (١٠٣١)؛ كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.
من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

قال رسول الله ﷺ : «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل**» ثم قال: «**وشاب نشأ في عبادة الله**» بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فإن من الناس من لا يحقق عبودية الله عز وجل حتى في لباسه، أو في لحيته، أو في سماعه، أو في أكله وشربه، ومنهم ـوالعياذ باللهـ من لا يحقق هذه العبودية في توحيده لله عز وجل، وقد بين سبحانه وتعالى أنه ما خلق العباد إلا لعبادته وحده؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

إنه سبحانه وتعالى ما أرسل الله رسولًا ولا بعث نبيًّا إلا وأمره وألزمه وحتم عليه أن ينذر قومه، ويحثهم على عبادة الله، وينذروهم خطر مخالفة أمر تعالى ونهيه، ولا شك أن كل مخلوق من جن وإنس وحيوانات وجميع الموجودات عباد لله عز وجل.

لكن المقصود بعبودية الله: طاعة الله سبحانه وتعالى، وإلا فإن ربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٣ـ٩٥].

وتحقيق عبودية الله أمر مطلوب واجب، ولا تكن عبدًا لله في شيء دون شيء وفي أمر دون أمر، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ *

فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٠٨-٢٠٩].

سماهم مؤمنين وصفهم بالإيمان وألزمهم بالاستسلام والانقياد والعبودية والخضوع، وبعد أن أمرهم بأن ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ قال جل في علاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:٢٠٨].

سماهم مؤمنين وأثبت لهم الإيمان، ومع هذا حثهم على الاستسلام والعبودية والتذلل له سبحانه وتعالى.

إن من الخطر على المسلم أن يكون عبدًا لله فيما تشتهي نفسه وفيما يوافق هواه، فإن كان فيما يوافق رغبته كان عبدًا، واستدل على ذلك واسترشد بنصوص من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وصار في هذا عبدًا لله، وإن خالف الهوى والرغبة تكاسل ونكص على عقبيه ولم يكن عبدًا فيما لا يهواه، وبهذا لا يكون مقسطًا لا في نفسه ولا في حكمه؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥].

فأمر الله جل وعلا بالعبودية حتى في الحكم على النفس، لأن المسلم عبدٌ لله سبحانه وتعالى يتمثل عبودية الله وأمر الله وحكمه تعالى في كل أمر من أمور حياته..

هنيئًا لمن حقق عبودية الله جل وعلا، إن الله أمر بعبوديته وأمر عباده أن يدعوا بذلك في سورة الفاتحة في صلاتهم وفي غيرها؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، أي: نقصدك بعبادتنا إياك لا نشرك بك شيئًا.

وبعد أن أمرهم بإخلاص القصد في العبادة له وتصحيح العبادة له؛ أمرهم بأن يستعينوا به سبحانه وتعالى على تصحيح وتحقيق ذلك.

فإن الحياة لا تصلح أبدًا إلا بتحقيق العبادة لله سبحانه وتعالى، وإلا فسدت الدنيا والأخرى.

وانظر إلى الصفات التي ذكرها النبي ﷺ في تمام هذا الحديث!

«**إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل تصدق بصدقة حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**».

فمنهم: «**شاب نشأ في عبادة الله**» أي: في طاعة الله وحفظ حدوده واتبع سنة رسوله ﷺ.

ومنهم: «**ورجل قلبه معلق بالمساجد**» يعمرها بطاعة الله بالصلاة فيها والتعبد لله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ * لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور:٣٦-٣٨].

وذكر منهم: «**ورجلان تحابَّا في الله؛ اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه**».. إن المتحابين كثير، والذين يتزاورون كثير، والذين يتوادون كثير، فمنهم من يود لقصد شهوة وقضاء غرض، ومنهم من يحب ويود لقضاء وطر ومطامع دنيوية.. وغير ذلك.

والحب الذي ينال به رضا الله تعالى وأن يكون في ظل عرشه هو الحب الذي لم يكن إلا في عبودية الله سبحانه وتعالى وفي مرضاة المولى جل وعلا، فلهذا استحقا بفضل الله ورحمته أن يكونا في ظل عرش الرحمن في ذلك الموقف الرهيب، بينما غيرهم من الناس في العذاب والكرب والأهوال وفي غاية من الذعر وشدة الحر وما يبلغهم من العرق.

وذكر ﷺ أن اجتماعهم في مرضاة الله تعالى وتفرقهم عليها؛ فقال: «**ورجلان تحابَّا في الله؛ اجتمعا عليه وتفرقا عليه**» اجتمعا على حب الله وتفرقا على حب الله.

ثم قال المصطفى ﷺ -في ذكر السبعة الذين ينعمون بظل العرش-: «**ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**» خاف ربه وراقبه ففاضت عيناه من غير قصد رياء أو تملق لأحد، وإنما خوفًا من الله جل في علاه.

ومثل ذلك قوله ﷺ في هذا الحديث: «**ورجل تصدق بصدقة حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»، والإخلاص في البذل والعطاء صعب إلا على من يسره الله تعالى له، ومجاهدة النفس ومدافعة الرياء والإمعان في إخفاء الصدقات مراقبة لله وخوفًا منه ورجاءً لثوابه جل وعلا؛ من تحقيق العبودية لله رب العالمين سبحانه.

«**ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله**»، ولا شك أن الغريزة الإنسانية تميل إلى الجمال كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران:١٤].

ومع هذا يعرض عنها ويستعصم بالله سبحانه، ويقول كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [يوسف:٢٣].

إن هذا لمن تحقيق العبودية لله عز وجل واستشعار مراقبته في كل وقت وآن: في الليل والنهار والسر والجهار، ظاهرًا وباطنًا، في الأقوال والأفعال، والانقياد لله سبحانه وتعالى.

فهذا الحديث من أوله إلى آخره ترى فيه تحقيق العبودية في هؤلاء الأصناف، وبذلك نالوا تلك الكرامة من الله سبحانه.

فما قامت دعوة الأنبياء والمرسلين إلا من أجل تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى في كل صغيرة وكبيرة، والله المستعان.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

أما بعد:

فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبينًا من يستحق بعبوديته ذلك الفضل فقال: «**يقول الله عز وجل: أين المتحابون بجلالي! اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**» كما رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أنظر معسرًا أو وضع له أظله الله في ظل عرشه**»[(١)].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«**أنا سيد الناس يوم القيامة.. وهل تدرون مِمَّ ذلك؟! يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس منهم.. فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون،**

---

(١) أخرجه مسلم(٣٠٠٦) عن أبي اليسر رضي الله عنه بلفظ: « أظله الله في ظله».

فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما قد بلغكم؟! ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟

فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: يا آدم! أنت أبونا، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك؛ اشفع لنا إلى ربك! ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي.. نفسي.. نفسي.. اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحًا عليه السلام فيقولون: أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله ﴿عبدا شكورًا﴾؛ اشفع لنا إلى ربك! ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي.. نفسي.. نفسي.. اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم فيقولون: يا إبراهيم! أنت نبي الله، وخليله من أهل الأرض؛ اشفع لنا إلى ربك! ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات، نفسي.. نفسي.. نفسي.. اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقولون: يا موسى! أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس؛ اشفع لنا إلى ربك! ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي.. نفسي.. نفسي.. اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقولون: يا عيسى! أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد؛ اشفع لنا إلى ربك! ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟! فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، نفسي.. نفسي.. نفسي.. اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد.

فيأتوني فيقولون: يا محمد! أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر؛ اشفع لنا إلى ربك! ألا ترى ما نحن فيه؟! ألا ترى ما قد بلغنا؟!

فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع..» الحديث[١].

فلا يتخلص من ذلك اليوم العصيب إلا من حقق عبودية الله سبحانه وتعالى التي بعث بها محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي الصحيحين من حديث أبي سفيان

---

(١) متفق عليه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صخر بن حرب رضي الله عنه أنه لما سأله هرقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ماذا يأمركم؟ قال أبو سفيان يقول: «**اعبدوا الله لا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بـ: الصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة**».

وهذا الحديث فيه جوامع أمور الدين، من عبادة الله المستوعبة لجميع ما يحبه الله ويرضاه: «**اعبدوا الله لا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباءكم**».

اتركوا تقليد الكفار، والتشبه بهم، ولو كان أقرب قريب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

عباد الله: يجب على كل إنسان أن يحرص على تحقيق عبودية الله عز وجل، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر:١١-١٣]، وقال جل في علاه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس:٦٠-٦١].

خطر المكر

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: أخبر الله في كتابه عن نوح عليه الصلاة والسلام فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ❁ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ❁ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ❁ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح:١-٤].

إلى آخر ما ذكره الله عز وجل في تلك السورة العظيمة (سورة نوح)، وكان جوابهم ومقابلتهم له بالمكر والخبث إلا قليلًا كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠].

استعملوا معه المكر والخيانة، وفضحهم الله سبحانه وتعالى في كتابه، وحين رأى تقلبهم في الشر شكاهم إلى ربه تعالى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ❁ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ❁ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ❁ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ [نوح:٢١-٢٤].

ومكرهم ذلك الذي شكا منه نوح عليه الصلاة والسلام هو: إضلال الناس، نص على ذلك الله سبحانه فقال عنه: ﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾، ولما رأى ما هم فيه من المكر شكاهم إلى الله ودعا عليهم فاستجاب الله دعوته فأهلكهم سبحانه، قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح:٢٥].

وقال جل وعلا: ﴿ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [هود:٤٤].

أيها الناس: إن المكر سمة اليهود والنصارى، وقد استعملها المشركون مع سائر الأنبياء، فمسألة المكر في دين الله، ومسألة المكر بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وبالصادقين والناصحين قديمة، قِدَمَ البشرية، قال تعالى عن مكر إبليس عليه لعنة الله: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ۞ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:٢١-٢٢].. والمكر والخداع عتاد الخائنين وسلاح المتآمرين على دين الله والناصحين لعباده من أنبياء وصالحين.

فهذا نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام مكر به قومه غاية المكر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٧٣]. فدعاهم إلى الله وحده ووجههم ونصحهم إلى ما يصلح لهم وينفعهم في الدنيا والأخرى، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ

يَخْتَصِمُونَ ﴾ [النمل:٤٥] إلى أن قال جل وعلا: ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [النمل:٤٨-٥٣].

فماذا نفعهم المكر لأولياء الله؟!!

دمر الله بيوتهم وأهلكهم وأبادهم، ولا زالوا في عذاب الله ولعنته؛ ففي الصحيح أن النبي رسول الله ﷺ قال: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم؛ أن يصيبكم ما أصابهم**».

حتى إن الذي يمر على قبورهم وعلى أماكنهم يخشى عليه أن يصيبه العذاب بسبب ذلك المكر، الذي استعملوه مع نبي الله عليه الصلاة والسلام، وقد أسدى النصيحة والصدق والنفع لهم لو كانوا يعلمون.

فالمكر استعمل مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: (يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك) فقال رسول الله ﷺ: «**أو مخرجي هم؟!**» قال: (نعم.. لم يأتِ رجل قط بمثل

ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا)[١]. وقد استعمل معه كفار قريش صنوفًا من المكر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]. فاستعملوا معه أنواع شتى من المكر؛ من أجل: أن يُحبس، عندهم مُسيَّرًا، وإما أن يقتل، وإما أن يخرج من بلده خائفًا!

ولكن: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

ماذا صنع مكرهم؟!

ولكن مكر الله بهم حتى إن من مكره جل وعلا بهم أنهم لم يستجيبوا لشرع الله، فقالوا كما أخبر الله عنهم: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣١].

وقد بلغ بهم المكر والحقد إلى أن تطاولوا على كتاب الله عز وجل، وقالوا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣١].

وقالوا منكرًا من القول وزورًا كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

---

(١) رواه البخاري، عن عائشة رضي الله عنها.

بلغ بهم الحقد والمكر والخبث أنهم يستفتحون على أنفسهم، فيقولون: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾.

وهكذا يخبر الله سبحانه وتعالى نبيه عن مكرهم وخداعهم وكيف يقلب المشركون وأذنابهم له الأمور فيقول سبحانه: ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٤٨].

قال سبحانه وتعالى عن مؤمن آل فرعون وهو يدعوهم إلى الله سبحانه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ * تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤١-٤٣].

ثم يفوض أمره إلى الله سبحانه وتعالى قائلًا: ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤].

كيف واجههم؟ وماذا صنعوا به مع أنها دعوة عظيمة بليغة تدمع لها العين وتقشعر منها جلود الذين يخشون ربهم؟!

ثم ذكر الله في كتابه أنهم يقابلون بالمكر فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٥].

يا هول مصيبة الماكرين بأهل الحق!

والله! إنك لترى لهم عجائب حتى إن إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام دبروا صنوفًا من المكر، ذكر الله ذلك في سورة يوسف بما يندى له الجبين وتدمع له عيون المؤمنين، أبان الله عز وجل ذلك بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [يوسف:١٠٢].

ويمكر الله عز وجل بمن مكر بدينه وأوليائه ويمحق كيد الماكرين، بل يرده عليهم كما قال جل وعلا: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر:٤٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر:١٠].

قال جل في علاه: ﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف:٩٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ * وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ

﴿فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾ [إبراهيم:٤٤].

ومع ذلك ما ضروا أولياء الله شيئًا، وما وصل لهم بذلك المكر إلا الشر لأنفسهم.

فيجب على المسلم أن يكون ناصحًا صادقًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨].

يجب أن يكون الإنسان صادقًا ناصحًا لنفسه، صادقًا مع ربه سبحانه وتعالى، وأن لا يخادع وأن لا يمكر بالمؤمنين، فإن الله ناصر دينه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [يونس:٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

وقال عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا﴾ [النور:٥٥].

وقد اجتمع عدد من الناس يريدون قتل رسول الله ﷺ وتمالئوا على أن يفرقوا دمه بين القبائل، فرد الله كيدهم في نحورهم وخرج رسول الله رسول الله ﷺ ولم يره منهم أحد.

وأتى بعض المشركين يريد أن يطأ على رقبة رسول الله رسول الله ﷺ وهو ساجد، وقال لأمثاله من المشركين: لأعفرن رأس محمد في الحرم بين أظهركم في البيت، ولئن رأيته ساجدًا لأطأن على رقبته اليوم، وأتى رسول الله رسول الله ﷺ فقام يصلي ويسجد وهو مطمئن القلب موقن بنصر الله عز وجل، ويأتي ذلك المجرم الأثيم يريد أن يطأ على رقبة رسول الله رسول الله ﷺ، فما رأوه إلا وهو يتقهقر إلى الخلف، قالوا: ما لك! قال: رأيت أهوالًا وأجنحة، قال النبي رسول الله ﷺ: «**والله! لو دنا مني لتخطفته الملائكة عضوًا عضوًا**».. قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨].

قال الله سبحانه: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ * عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ * أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ * أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ * أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ * كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ * فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ * سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق:٩-١٩].

وقال جل في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨].

وقال ﷺ: «**احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك**» الحديث.

ما عسى الماكرين -مهما كثروا- أن يفعلوا بإنسان علّق قلبه بالله سبحانه وتعالى واعتمد عليه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٣].. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [يوسف:٥٢].

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال -فيما يرويه عن ربه أن الله عز وجل-: «**يا محمد! إني مبتليك، ومبتلٍ بك، ومنزل عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرؤه يقظان ونائمًا..** » الحديث بطوله، وفيه: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال.. وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلًا ولا مالًا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا**

يصبح، ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك.. » الحديث [(١)].. فكيف بمن يخادعك في دينك! هذا أشد.

وأخبر سبحانه وتعالى أنهم يختصمون ويتلاعنون يوم القيامة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١-٣٣].

فهذا مكر الليل والنهار الذي كنتم تسيرون عليه من أجل اجتذابنا إلى الباطل.

﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾..

---

(١) رواه مسلم، عن عياض بن حمار رضي الله عنه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن نفرًا من عكل وعرينة قدموا المدينة على النبي ﷺ فاجتووا المدينة وتغير عليهم الجو، فقال النبي ﷺ : «**الحقوا بالذود؛ فاشربوا من ألبانها وأبوالها**»، فلما صحوا وسمنوا قتلوا الراعي واستاقوا الذود، وارتدوا بعد إسلامهم، فأمر النبي ﷺ بأولئك النفر، فلما أدركوهم أمر بهم فصلبوا في الحرة، فكانوا يستسقون فلا يسقون، وسمل أعينهم، وتركهم حتى ماتوا، فعذبهم النبي ﷺ لأنهم سرقوا وقتلوا ومثلوا براعي رسول الله ﷺ، وعصوا الله ورسوله ﷺ، وارتدوا بعد إيمانهم، وكفروا النعمة التي أغدقهم النبي ﷺ بها، قال ﷺ : «**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**»، فعاقبهم رسول الله ﷺ ذلك العقاب الذي تقدم ذكره.. والحديث في الصحيحين.

عباد الله: يجب على المسلم أن يعرف ما هو فيه من الخير وما عنده من النعمة، وأن من يستعمل المكر والخديعة والخيانة في دين الله فإن الله لا يهديه، ولا يوفقه، ولا يعينه إلا إذا كان ناصحًا صادقًا.

انظروا إلى نبي الله هود عليه الصلاة والسلام يأتيهم بتلك الدعوة ويعرضون عنه، ويقابلونه بالسفه والشتم والإعراض، فيقول قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف:٦٧-٦٨].

ولما لم يستجيبوا له قال: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [هود:٥٦].

لا يستطيع أحدٌ يضر مؤمنًا بمكره حتى يأذن له الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود:٥٦].

فنسأل الله السداد والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه.

ظن السوء بالله عز وجل

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا * وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح:٥-٦].

فأنت ترى -أيها المسلم- أن هذا الدرب الخطر الذي وقع فيه المشركون والمنافقون وهلك فيه أولئك الناس حتى ماتوا على كفرهم بالله، يتسرب إلى قلوب كثير من الناس في هذا العصر ويسري إلى أفئدتهم، حتى يؤدي بهم إلى القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر:٥٦].

وصف الله جل وعلا المشركين الذين كانوا يدعون غير الله ويطلبون الرزق من غير الله، والذين كانوا يطلبون الولد من غير الله وينذرون لغير الله، ويذبحون لغير الله، كل هؤلاء الأصناف من المشركين والمنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله رسول الله ﷺ أدى بهم ما هم فيه من سوء

الظن بالله إلى الشرك والنفاق، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦].

فينبغي على الإنسان يبتعد عن مزالق الخطر، وعن مواطن القنوط من رحمة الله سبحانه وتعالى، وأن يبقى مفوضًا أمره إلى الله وملتجئًا بنفسه إلى الله سائلًا منه تعالى التوفيق والسداد.

ويقول الله مبينًا أن سوء الظن به من سنن أهل الكتاب الكافرين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة:٧٥-٧٨].

فما عند أولئك إلا الظن السيئ بالله والكذب والتخرص، يقول الله جل وعلا مخبرًا عن أشخاص حصل منهم سوء الظن بالله فهلكوا: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ

ٱلْخَٰسِرِينَ ۞ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ [فصلت:٢٢-٢٤].

وسبب نزول هذه الآية هو ما أخرجه الشيخان من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت بجانب الكعبة فإذا برجلين من هذيل وختنًا لهما من ثقيف -أو قال: رجلين من ثقيف وختنًا لهما من هذيل- يتحدثون بكلام لا أكاد أسمعه، فقال أحدهم: أتظنون أن الله يسمع كلامنا؟ وقال الثاني: إنه يسمع بعضه ولا يسمع البعض الآخر، وقال الثالث: إن كان يسمع بعضه فهو يسمعه كله. فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت:٢٢].

وهل أوقع كثير من الناس في الفحشاء والمنكر إلا سوء الظن بمراقبة الله سبحانه وتعالى وظنهم أن الله غير مطلع لا يراهم ولا يسمع سرهم ونجواهم.

إن سوء الظن بالله من سمات مجرمي بني إسرائيل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۞ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨].

فبين الله أن الذين أساءوا الظن بعيسى عليه السلام أنهم قتلوه، وأن الله لن ينصر عيسى، هذا سوء ظن منهم بالله سبحانه وتعالى أن يترك أولياءه وأصفياءه، ويسلط عليهم أعداءه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج:١٥].. ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: يعلق حبلًا، ثم يربطه في عنقه، ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي: يفصل بينه وبين الأرض، ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾.

فالله أراد التبكيت لهؤلاء الذين يظنون أن الله لن ينصر دينه.

كما أن سوء الظن بالله تعالى أدى بكثير من الناس إلى الوقوع في المحرمات، فكان لابد من بيان خطر سوء الظن بالله ومدى تأثيره على النفوس فقد..

أدت بكثير من الناس إلى الشك في رزق الله!

أدت بكثير من الناس إلى الشك في شفاء الله للأمراض!

أدت بكثير من الناس إلى الشك في قدرة الله العاجلة أو الآجلة على العباد!

أدت بكثير من الناس إلى الشك في أمور كثيرة!

فترى الناس وعلى الباطل يتواردون، ومن المحرمات يأكلون، بسبب سوء ظنهم بالله جل وعلا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥].

ساء ظنهم بأمثال هذه الآية: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٢-٢٣].

وآخرون ساء ظنهم في أن الله قادر على شفائهم، فتجد أحدهم يذهب إلى المشعوذين، ويلتمس منهم العافية والشفاء.

وآخر ساء ظنه بالله سبحانه وتعالى في النصر، فتجده يلجأ إلى أعداء الإسلام ويركن إليهم؛ ليستمد منهم نصرًا وعزة، ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٣٩]..

وآخرون ساء ظنهم بالله وبتأييده لأوليائه، وزعموا أن دعوة أهل السنة لا تصلح لهذا العصر كما يقول المنافقون -عليهم من الله ما يستحقون-: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

ساءت ظنونهم بالله سبحانه؛ لأن الله لم يؤتهم علمًا يفقهون به دينه وشرعه، ولذا ساءت ظنونهم بالله وبرسول الله ﷺ.

سوء الظن يحمل على الجشع وعدم القناعة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤]، يقول سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥].

سوء الظن بالله يؤدي إلى الشرك بالله عز وجل، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

ومن ذلك الدهرية، فقد ظنوا أن الله لن يبعثهم، فوقعوا في الكفر بالله وجحود البعث، حتى إن الواحد منهم ليعتقد أنه يعيش في هذه الدنيا كبهيمة ثم يموت، من غير حساب ولا عقاب! ولم يعلم أنه حتى البهائم تبعث فيقضى بينها، وأنه «**يقاد للشاة القرناء من الشاة الجلحاء**»[1].

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤].. فهم يظنون بهذا الظن الممقوت.

---

(١) ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أحمد في مسنده (٧٣٠٤).

وهل كُذبت الرسل، وعاندهم قومهم إلا بسبب ظن السوء بالله تعالى.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٥٩-٦٢].

وهكذا أخبر الله عز وجل عن هود عليه السلام ومخاطبة قومه له بقولهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

وقد كان هود عليه السلام يقول لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون:٣٢].

فيرد عليه أولئك الظانون بالله ظن السوء كما قال عنهم في كتابه الحكيم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف:٦٦].

فهذا من سوء الظن بالله، أنه يرسل رسولًا على الملأ فيؤيده وينصره ويجعله يضرب الرقاب ويسفك الدماء، ويستبح مغانم الناس وأعراضهم

ونساءهم وأموالهم، ثم لا يأخذ على يديه! وهو القائل سبحانه وتعالى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٥].وقد أودى سوء الظن بالله بكثير من الأمم السابقة واللاحقة إلى مهالك أوبقت عليهم الدنيا والآخرة، وهو الذي جعل فرعون يشك في الله عز وجل، يقول فرعون ـ عليه لعائن الله ـ كما حكاه الله عز وجل عنه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ * أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ [غافر:٣٧].

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

أما بعد:

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**أتى إبراهيم عليه السلام بأم إسماعيل رضي الله عنها فوضعها في دوحة بجانب الكعبة، ولم تكن الكعبة آنذاك قد بنيت، ثم انطلق وتركها، فقالت: أين تتركنا بهذا الوادي وليس به أنيس؟! ثم لم يكلمها، فأعرض**

عنها ومضى، فلما مضى قالت: آلله أمرك بذلك؟ قال: نعم. قالت: إذا لا يضيعنا. فلما وصل إلى الثنية رفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

ثم انطلق ووضع عندها جرابًا من تمر، وسقاء من ماء، وجعلت تأكل من ذلك التمر، وتشرب من ذلك الماء، حتى فني، وجعل الصبي يتلبط من شدة الجوع، ولم تجد له ما تسقيه، ولم تجد له طعامًا من الثدي عندئذ، فجعلت تهرع سبع مرات، وهي تصعد وتنزل من الصفا إلى المروة مرة بعد أخرى، وفي المرة السابعة سمعت صوتًا، فقالت: أغث إن كان عندك غواث. فنزل جبريل وحفر بجنحه الأرض، فخرجت زمزم، فجعلت تحوض الماء وتجمعه وتشرب منه وترضع ولدها».

فيتبين لنا من هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى لن يضيع من توكل عليه وفوض إليه أمره، يقول سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا * وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق:٢-٣].

وأن الله سبحانه وتعالى أنزل جبريل عليه السلام وأمره أن يحفر بجنحه بئرًا في ذلك المكان الذي ليس فيه ماء، من أجل تلك المرأة الواثقة بالله المحسنة الظن به المتمثل في قولها: «**إذًا: لا يضيعنا**».

وهكذا يعقوب عليه السلام لما أُخبر عن فقد ابنه الثاني لم ييئس من روح الله، بل ما زال ظانًا بالله الظن الحسن، قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

وهكذا روى البخاري في صحيحه من حديث خبيب رضي الله عنه أنه لما أسره المشركون بعد أن أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سرية مع عاصم بن زيد رضي الله عنه، فأرادوا قتله، فطلب منهم موسى يستحد بها، ودرج إليه صبي من الصبيان، فما رأته بنت الحارث إلا والصبي على فخذه، فخافت على ولدها، قال أتظنين به شرًا، ما كنت لأفعل! فقالت: والله! ما رأيت رجلًا مثل خبيب، ولقد رأيته بمكة يأكل قطفًا من عنب وما بمكة يومئذٍ عنب.

رجل مسجون محصور داخل السجن، ومع ذلك يأتيه الله بقطف من العنب كرامة له من الله عز وجل.

فيجب على المسلم أن يكون واثقًا بالله، محسنًا به الظن في جميع شئونه، ولهذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**الفأل من الله، والطيرة من الشيطان**»؛ ذلك أن التفاؤل يحمل الإنسان على الظن الحسن بالله، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب أن يسمع: يا نجيح، يا راشد.. أو ما إلى من ذلك من الألفاظ الطيبة، ونهى عن الطيرة؛ لأن فيها إساءة الظن بالله سبحانه وتعالى.

وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نام تحت شجرة ظليلة، وهو في السفر أتاه رجل واستل السيف، وقال:

من يمنعك مني يا محمد؟ قال: «**الله**». فسقط السيف من يد ذلك الأعرابي، فأخذه رسول الله ﷺ وقال: «**من يمنعك مني**؟!» قال: كن خير آخذ.

وبالله التوفيق.

الفرق بين المؤمن والكافر

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله تعالى من أسمائه (الحق) كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ * يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ * يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النور:٢٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [يونس:٣٠].

فالله هو الحق، ودين الله هو دين الإسلام وهو الحق، وما سواه باطل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ [المائدة:٤٨].

فسمى الله هذا القرآن بالحق، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣].

أرسله الله عز وجل بشيرًا ونذيرًا بهذا الدين القويم والصراط المستقيم، وأخبر أن من خالف هذا الحق يعتبر مقلدًا للكفار؛ فمخالفة الحق دأبهم وسلوكهم، ومخالفة الحق ديدنهم، واسمع إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٌ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٩].

والله قد أخذ عليهم وعلى جميع البشرية أن لا يقولوا على الله إلا الحق، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِىٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰىَ فَٱرۡهَبُونِ * وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ * وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٤٠-٤٢].

فأخبر الله أنهم يلبسون الحق، ويكتمون الحق مع علمهم به، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقًا

مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۞ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [البقرة:١٤٦ـ١٤٧].

فأخبر الله أنهم يكتمون الحق على علم به فقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩].

فالحق عندهم واضح وجلي، لكن الحسد والكبر حملهم على معاندته ومخالفته، ومع ذلك يودون أن كل الناس يكونون على ما هم عليه، وأن كل الناس يعاندون الحق، والفرق بين المؤمن والكافر في هذا الباب أن المؤمن مستسلم لدين الله، والكافر يعاند الحق، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوۡقَهَا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ۞ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ۞ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ

بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة:١٢٤-١٢٧].

فهذا هو الفرق بين المسلم والكافر، أن المسلم يستسلم للحق وينقاد له، أما الكافر فيتمرد على الحق ويخالفه، فكل من خالف الحق وابتعد عنه فهو في ذلك متبع لسنن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١]، وحتى تكون لديك ثقة بالله ويكون لديك اعتماد عليه، والله قد وعد المؤمنين بدفع الباطل بالحق، وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ [الأنبياء:١٨].

وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء:٨١].

وهو القائل في بني إسرائيل من سحرة فرعون: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ * قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ * قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ * قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ * وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ * فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ

يَعۡمَلُونَ * فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ * وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [الأعراف:١١٣ـ١٢٠].

فلا تخشَ من شبهات الباطل، ولا تخشَ من كثرة أهله، ولا تخش من هنجمة الباطل وزمجرته وصولته في الساحة، فإنك مبتلًى ومختبر بدفعه ورده بلسانك وبيدك وبقدر مستطاعك، وما خلق الله الكون إلا ليحق الحق ويبطل الباطل، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ * مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الدخان:٣٨ـ٣٩].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

وقال عز من قائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [يونس:٥].

فما خلق الله الكون إلا ليقام الحق، وقد قيض له من يدافع عنه ومن ينصره ومن يستميت في سبيل الدفاع عنه، قال النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»[١].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٣٠)،عن ثوبان رضي الله عنه.

فقد بين هذا الحديث أنهم سيخالفون ويخذلون، ولكن هذا لا يضرهم إن شاء الله، هذا وعد من رب العالمين، فقد وعد الله بإهانة من خالف الحق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٧-٢٨].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣].

هكذا يهين الله يوم القيامة كل من خالف الحق، ويجازيهم عذاب الهون بما كانوا يستكبرون على الله بغير الحق، فقد أخذ الله علينا -معشر المسلمين- أن نقول الحق ولو كان مرًا، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف:٢٩].

فالله قد أخذ علينا الميثاق والعهد بأن نقول الحق قدر استطاعتنا، كما قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧].

وذم الله أهل الكتاب بنبذهم الحق وعدم الصدع به وابتعادهم عنه، فبئس ما يشترون، فهم يشترون بالحق ثمنًا قليلًا، ويبيعون ويشترون بالدين، فذمهم الله وأخزاهم ولعنهم على صنيعهم هذا، قال الله جل في علاه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ * كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

و قد كان مما أخذ الله عز وجل على نبيه صلوات الله وسلامه عليه أن يقول الحق ولو كان مرًّا.

وفي سنن الدارمي بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: «**ما من أمير عشرة إلا ويأتي يوم القيامة ويداه مغلولة إلى عنقه، فإما أن يفكه عدله، وإما أن يوبقه ظلمه**»(١).

فالناس يأتون يوم القيامة كلٌّ مقيد بالحق الذي قاله واعتقده واتبعه، وواجب على المسلمين أن يلزموا الحق وينصروه أينما كان، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [يونس:٣٥].

---

(١) أخرجه عن أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٣٥٥٧) وهو في الصحيح المسند لشيخنا مقبل رحمه الله.

والذي يقوم بالهداية إلى الحق والدعوة إليه فإنه يجب على الناس أن يأخذوا دليله، وأن يتبعوا الحق الذي جاء به على بصيرة ونور، لا بعصبية وتقليد، فلماذا أصبح الناس الآن لا يفقهون الحق ولا يصدعون به، إن الناس الآن يغضون أطرافهم وأبصارهم ويعمونها عن الحق، ويجادلون في الحق بعد ما تبين، وبعضهم من المؤمنين حتى أدبهم الله بهذا، فقال سبحانه وتعالى ﴿يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۞ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال:٦-٨].

أردت أن أذكر هذه الأدلة على إثبات الحق، والصدع به، وعلى بيان نصرة الله لأهل الحق من أهل التوحيد والاستقامة، قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

هذا ميعاد من رب العالمين، والمواعيد الربانية هي أصدق المواعيد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢].

وقال الله جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧].

إن كل من كان على الحق فإن الله ناصره، ومؤيده، والله جل في علاه يقول: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد:١-٢].

لأنهم اتبعوا الحق فذنوبهم مغفورة، وسيئاتهم مطروحة، وبالهم مصلوح إن شاء الله، قال الله جل في علاه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠].

فهذا وعد الله فثق بالله، واعتمد عليه، واعلم أنك إن كنت قلت قليلًا فالله مكثِّر ما قلت، وإن كنت ذليلًا في نظر الناس، فالله يعزك ويعز ما تقول، ويكرمك ويكرم ما تقول، إن السيل الجارف، والغثاء، والزبد، والبلاء، ليتلاطم في هذه الأيام على أهل السنة، وتجتمع عليهم الكلمات الكاذبة، إن الكذب منصبٌّ عليهم من كل مكان بالأقوال والأفعال، وكذلك عليهم الكيد، والمكر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠].

وقال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢].

قال الله عز وجل: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت:٦٠].

إن الأمر الذي ينبغي أن تعلمه، وأن تعتقده، أنك متبع الكتاب والسنة، ولا تخالف هدي رسول الله ﷺ لا في صغيرة ولا كبيرة، وأنك تعمل بما علمت، على ما تستطيع، واعلم أن الله عز وجل سيعينك وسيعزك كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون:٨].

وقال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

عباد الله: إن الله قد أذل الكبر والمتكبرين؛ لأن الكبر صفة من صفات: الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر.

قال النبي ﷺ كما في الحديث القدسي: «**العزة إزاري، والكبرياء ردائي؛ فمن نازعني في شيء منهما عذبته**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٦٣٠)عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وما هناك كبر أعظم ولا ظلم أظلم بعد الشرك بالله من أن يرد الإنسان الحق بعد وضوحه، وبيانه لديه بالأدلة الشرعية، إن الاعتصام بالكتاب والسنة هو حق مأمور به، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

إن التفرق على البدع والحزبيات ضلال قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس:٣٢].

إذا كان الله عز وجل يأمر بالاعتصام بهذا الكتاب، وأنه لا يجوز لنا مداراة أعدائنا الكفار، ولا يجوز لنا التفرق، والتشرذم، والتقطع، والتشبه بهم، كما قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

والله! إن من انقطع، وتمزق، وتشرذم، عن أهل السنة وعن السير على هذا الصراط؛ فإنه ليس في شيء، وأنه ليس نافع دين الله بشيء.

أعتقد ذلك وهذا ملحوظ، منظور معلوم أن كل من تمزق وانقطع عن هذا السير القويم، عن هذا السير المتصل بالله سبحانه عن هذا الحبل المتين، قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال الله جل في علاه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

فكل من أراد أن يدخل في دين الله ما ليس منه هو في تردٍ، وليس فيه نفع للإسلام أبدًا، بل ليس في شيء من الله، وليس من الله في شيء، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

ليس هناك أعظم من غمط الحق، والتكبر عليه، كما قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنًا! قال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر؛ بطر الحق، وغمط الناس**»(١).

أترضى أن تكون متكبرًا، وتحشر يوم القيامة في صورة الذر، تكون موطئ الأقدام، بأقدام الكفار، وأهل النار(٢)، إنها إهانة لمن تكبر ورد الحق، وكان يوم القيامة في النار لا محالة إذا رد الحق بعد علمه ووضوح الحق لديه، سواء رد الحق الذي هو التوحيد، وعاد إلى الشرك، أو رد الحق؛ لقول النبي ﷺ في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «**احتجت الجنة والنار فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى الله بينهما، إنكِ الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وإنكِ النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليَّ ملؤها**».

فأين المتكبرون؟ إنهم في النار بنص هذا الحديث.

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:٦٠].

---

(١) أخرجه مسلم (٩١) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما.

(٢) يشير الشيخ حفظه الله إلى حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عند الترمذي(٣٤٩٣).

بلى وربي إنه الحق، وما أنتم بمعجزين، إن في النار سعةً ومجالًا، ومثوًى ومستقرًا للمتكبرين، الذين يعاندون الحق بعد وضوحه.

كم من الناس الآن تقول له: قال رسول الله ﷺ .. وتذكر حديثًا، أو آية، وهو يلتفت إلى استحسانه ويقتنع ويرضى بهذيانه وبأقوال بعض المساكين الجهلة، سواء كان في المعتقد، أو الحزبيات، أو ما إلى ذلك.

فاحذر ـ عبد الله ـ احذر ثم احذر مخالفة الحق! فإن من خالف الحق، وكفر به وكرهه ذاق العذاب ودخل النار، كما قال الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأحقاف:٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۞ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف:٧٧ـ٧٨].

فانظر هذا الصنف ممن دخل النار، كان كفره ودخوله النار بسبب كراهة الحق، فالذي يكره الحق أو يبتعد عن الحق أو يكره الحق، أيًا كان هو؛ فقد عرض نفسه لعذاب الله!

نسأل الله السلامة والعافية.

والله المستعان.

التحذير من خطوات الشيطان

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۞ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٨-١٩].

ويقول جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:٢٠٨].

ففي هاتين الآيتين وآيات أُخر من كتاب الله عز وجل بيان وتحذير عظيم من الله لعباده من كيد الشيطان ومن استحواذه على العبد أن ينسيه ذكر الله، فإذا استحوذ على عبد من عباد الله أنساه ذكر الله، وإذا أنساه ذكر الله أنساه الله سبحانه؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩].

هل أحد ينسى نفسه؟!

نعم! ينسيه الله عز وجل نفسه، ينسيه الله عز وجل العناية الروحية بنفسه، فيكون ناسيًا لنفسه، وما أكثر الذين نسوا أو تناسوا أنفسهم؛ كل

ذلك لأن الله عز وجل أنساهم أنفسهم؛ بسبب نسيانهم ذكر الله، وتركهم لذلك.

إن الله قد أخبر في كتابه الكريم عن خطوات يسلكها الشيطان مع الإنسان، وخطوات: جمع (خطوة) فهو يخطو خطوة إن نجح فيها انتقل إلى خطوة أخرى.. وهكذا، خطوة بعد خطوة، وخطوة بعد بعدها، حتى يصل إلى مقصوده، أو إلى بعض مقصوده من العبد، وإن من خطوات الشيطان عدم أخذ الدِّين من جميع جوانبه؛ ولهذا يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة:٢٠٨].. يناديهم باسم الإيمان وهو أرفع رتبة من الإسلام.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، وذلك تنبيه على أن الأمر بالأخذ بالإسلام من جميع جوانبه ليس معناه أنهم كفار، ولكن خذوا الدين من جميع جوانبه، فإن من خطوات الشيطان التي يسلكها الإهمال والتساهل في أخذ الدين، والضعف والهزل والانهيار عن هذا الدين، وربنا سبحانه وتعالى يحب أن يأخذ الدين من جميع جوانبه وبقوة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم:١٢].

وقال سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا

سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ * سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٥-١٤٦].

احذروا خطوات الشيطان! فإن من تسلط عليه الشيطان ببعض خطواته، يصير آمرًا بالفحشاء وبالمنكر؛ لأن الشيطان يأمر بذلك، وجنوده الذين يتسلط عليهم يأمرون بما أمر، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١].

فكن حذرًا من عدوك هذا، ولا يستجرينك الشيطان، ولا يستفزنك الشيطان؛ فإنه عدو يسلك مدارج الهلاك خطوة بعد خطوة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

ومن خطواته أن يحرم ما أحل الله، أو يحل لك ما حرم الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢].

وفي الآية الأخرى قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:١٦٨].

الشيطان أيضًا قد يأتيك من جانب النفس، بالأزّ والتزيين كما فعل بالمشركين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّٗا ۞ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّٗا﴾ [مريم:٨٣-٨٤].

الشيطان يؤزُّهم ويدفعهم.

وقد يأتيك من جانب الرغبة في مجالسة المبطلين؛ قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

وقد يأتيك من جانب الزهو بالنفس؛ ينفخك وينفخ فيك، حتى ترى الناس ليسوا بشيء، ومن دعاء النبي ﷺ: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه».

إن هذه إرشادات ربانية يجب أن تأخذها بجد واجتهاد، هذا أمر من الله سبحانه وتعالى قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۞ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسْتَقِيمٞ ۞ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ [يس:٦٠-٦٢].

جِبِلًّا: خلقًا أممًا أضلهم الشيطان بسائر وساوسه، فإن لم ينجح بطريق أتى بطريق أخرى، ربما يأتيك من طريق المال، أو من طريق الجمال، أو من

طريق الجاه والترفع، والمنصب، وربما يأتيك من طريق التخاذل، وربما يأتيك من طريق نسيان نفسك، أو من طريق أخرى.

إن أناسًا نسوا أنفسهم حتى عن ذكر الله، ما اعتنوا بأنفسهم، حتى في ذكر الله، أو في تعلم دين الله، وهم لا يعترفون أن هذا من أعظم القربات إلى الله، ولكنه أنساهم أنفسهم بسبب تناسيهم ذكر الله.

الشيطان من مداخله وخطواته التخويف بالفقر، فكم من إنسان زج به الشيطان في المعصية بسبب خوفه من الفقر، وإنه إن لم يعمل في ذلك العمل إن لم يسرق، إن لم يُرْبِ، إن لم يرتشِ، إن لم يكذب، إن لم يدرس في المدارس الاختلاطية.. إلى آخر ذلك؛ فإنه سيجوع، سيتعب، سيتنكد عيشه.. كل هذا ليس إلا من الشيطان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة:٢٦٨].

من الذي رزق الشيطان؟ من الذي أطعمه؟من الذي سقاه؟

هو الله سبحانه وتعالى.. فكيف لا يرزق عبده المؤمن؟!!

إن الدواب والحشرات تُرزق من عند الله سبحانه وتعالى، ثم أنت ينساك الله من الرزق، وأنت ذلك المستقيم؟!

ومن خطواته الاستهزاء؛ قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي

ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:٧١].

الشيطان له تسويلات وإملاءات، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ [محمد:٢٥]، وهو عدو بَيِّنُ العداوة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر:٦].

اسمع ما يقول الله سبحانه وتعالى عن هذا العدو: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٢٢]، لا أحد ينقذ أحدًا.

وقد كان في الدنيا يقسم أنه سيحتنك هذه الأمة، قال الله سبحانه وتعالى ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر:٣٩-٤٠]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ [الإسراء:٦٢-٦٣].

وقال الله جل في علاه: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفۡرُوضًا * وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٨-١١٩].. ما فوق هذه الخسارة إذا ما والى الشيطان؟!

ويقول الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء:٦٤]، ابتلاءً من الله؛ قال تعالى ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك:٢].

ما خلق الله الشيطان إلا ليعلم المفسد من المصلح، وليعلم البر من الفاجر، ليعلم من يصلح لجنته ومن يكون حطبًا لناره، فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**احتجت الجنة والنار، فقال النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم؛ فقضى الله بينهما فقال للجنة: أنتِ رحمتي أرحم بكِ من أشاء. وقال للنار: وأنتِ عذابي أعذب بكِ من أشاء ولكليكما عليَّ ملؤها**».

ومن مداخل الشيطان الفتنة، قال الله سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا

سَوْءَاتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ❊ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٨].

احذر -أيها المسلم- أن يفتنك الشيطان عن ذكر الله، فبذكر الله؛ يجعل الله لك حرزًا من الشيطان، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من قال حين يصبح: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير) من قال في يوم مائة مرة حين يصبح كتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي**».. هذا ربح عظيم أن تكون في حرز وحصن من الشيطان.

ومن مداخل الشيطان الوسوسة؛ قال الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ❊ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ❊ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ❊ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ❊ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ❊ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ❊ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ❊ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه:١١٥-١٢٢].

شاهدنا من هذا أن من خطوات الشيطان الوسوسة، فقد يوسوس في صدرك بسوء؛ غاية في البعد عن الحق، يكون غاية في بعدك عن الحق، ليس مصدره إلا من الشيطان.

ومن مداخله وخطواته التزيين يزين في نفسك كلامًا أو قولًا، يجب أن تكون بعيدًا عنه، قال الله سبحانه: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء:٥٣].

وأنت تظن أن بكلامك ذلك تصلح، وربما كان عليك وبالًا، يلحقك ربما إلى آخرتك، بسبب تلك الكلمة التي زينها لك الشيطان، كلمة أو فعل من الفعلات أو أي شيء ينزغ منه الشيطان، كن على حذر من الشيطان.

ومن مداخله التحريش، فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب لكن بالتحريش بينهم**»، وليس معناه أنه لا يوجد هناك شرك في جزيرة العرب، ولا عبادة للشيطان.. لا؛ بل هناك عبادةٌ للشيطان كما ذكر الله عز وجل في سورة (يس) في قوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [يس:٦٠-٦١]، وعن حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال: «**لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**»(١)، والنبي ﷺ يقول: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة**»(٢).

فالشرك لا يزال ضاربًا بأطنابه بين الناس، إلا من رحم الله.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد جاء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا خرج أحدكم من بيته فقال: (باسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله)، قال الملك: هُديت وكفيت وتنحى عنه الشيطان**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٧٠٦٨)بلفظ« أصبروا فإنه لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه حتىٰ تلقوا ربكم».

(٢) أخرجه البخاري (٧١١٦)ومسلم (٣٩٠٦)كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه أبو داود برقم (٥٠٩٥)،والترمذي رقم (٣٤٣٥).

هذه من الوقايات من هذا العدو، إنك عند خروجك تذكر الله فتسمي الله عز وجل، وتتوكل عليه، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، تعتمد على الله يكفيك شر الشيطان، وشر سائر الشياطين.

ومما أرشد إليه رسول الله ﷺ الطاعات؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**ما من خارج إلا ومعه راية، إذا خرج في طاعة الله تبعه ملك برايته، فإن خرج بمعصية الله تبعه الشيطان برايته**»[(١)].

فهذه من الوقايات أنك تخرج في طاعة الله.

ومن الوقايات قراءة آية الكرسي عند النوم، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه: «**فإنه لا يقربك شيطان**» فالشيطان لا يقترب ممن قرأ آية الكرسي عند نومه ليلته تلك حتى يصبح. وما جاء عن النبي ﷺ «**أن الشيطان يعقد على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد: عليك ليل طويل فارقد**» فهذا في حق من لم يذكر الله، أما من قرأ آية الكرسي، فقد كُفي ووقي، ولا يقربه شيطان.

---

(١)أخرجه أحمد في مسنده (٨٣٨٦)والطبراني في الأوسط (٤٧٨٣)كلاهما عن أبي هريرة بلفظ مامن خارج يخرج يعني من بيته إلا ببابه رايتان راية بيد ملك وراية بيد شيطان فإن خرج لما يحبه الله عز وجل أتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته وأن خرج لما يسخط الله أتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته.

(١) أخرجه البخاري (٥١٥٦)ومسلم (١٤٣٤)

ومن الوقايات من الشيطان، ذكر الله عند الوقاع، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**أما إن أحدكم إذا أتى أهله قال: (باسم الله.. اللهم! جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتني) فإن قدر بينهما ولد لم يقربه شيطان أو لم يتسلط عليه شيطان**».

ومن الوقايات أن المؤمن إذا دخل بيته قال: (باسم الله)، وإذا أكل قال: (باسم الله) قال الشيطان لأعوانه: لا مبيت لكم ولا عشاء[1].

ومما يستعان به على الشيطان سجود التلاوة، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إذا قرأ أحدكم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول الشيطان: يا ويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت، فلي النار**»[2].

ومن ذلك أيضًا سجود السهو؛ ففي حديث أبي سعيد رضي الله عنه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا سها أحدكم فليتحرَّ الصواب، وليسجد للسهو، وليدع الشك**».فإن كان صلى ثلاثًا تمت له صلاته، وإن صلى أربعًا أرغم بذلك الشيطان، ومعنى الحديث: أن يدع الشك فيصلي إذا ظن أنه صلى ثلاثًا أو أربعًا فلجعلها ثلاثًا، وليكمل الرابعة، فإن كانت الصلاة ناقصة صارت -بما زاده- أربعًا فهي تامة، وإن كانت الصلاة تامة ونسي في

---

(٢) عن جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما أخرجه مسلم (٣٠١٨)بلفظ إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه.

(٣) أخرجه مسلم(٨١).

صلاته صارت خمسًا، والخامسة ترغيمًا للشيطان؛ لأن المصلي لم يتعمدها ولكن ترك الشك وأرغم الشيطان.

ومنها التسمية عند الطعام والشراب، والأكل باليمين، قال ﷺ: «**إن الشيطان يأكل بشماله فكلوا بأيمانكم واشربوا بأيمانكم**».

وقد جاء في الحديث في وصف أكل الكافر: «**الكافر يأكل بسبعة أمعاء**»، كل ذلك بسبب أكل الشيطان معه، فالشيطان أراد أن يستحل طعامكم إذا لم يذكر عليه اسم الله، وهكذا قال النبي ﷺ كما في حديث عثمان بن أبي العاص: «**إذا وجد أحدكم في صلاته شيئًا فلينفث على شماله وليستعذ من الشيطان**» كل هذا من الوقاية من الشيطان.. «**ذاك شيطان يقال: له خنزب**» يأتي ليحول بين الشخص وصلاته فإن وجد أحدكم ذلك فلينفث عن شماله، وليستعذ من الشيطان.

ومن الوقايات من الشيطان ذكر الله سبحانه وتعالى، قال رسول الله ﷺ: «**إنه ليغان على قلبي فأذكر الله فيذهب ما بي**».

هذه كلها وقايات من ألد الأعداء على الإطلاق عليك وهو مسلط عليك إلا أن تلجأ إلى الله، وتكون من المخلصين.

والاستعاذة.. استعذ بالله قبل قراءة القرآن؛ قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ * إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:٩٨-١٠٠]. وإلا حيل بينك وبين تدبر القرآن وفهم القرآن

والاستعاذة من القرآن ولا تستفيد خلال تلاوتك بسبب عدم الاستعاذة من الشيطان قبل القراءة.

استعذ بالله تعالى قبل دخول الحمام؛ قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أحدكم الخلاء فليقل: اللهم! إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**» وكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك[1].

وتذكر يا عبد الله**!** أن الله تعالى قال عن الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٩٩-١٠٠]

فتوكل على الله واعتمد عليه يكفيك شر الشيطان وشر سائر أعدائك.

وبالله التوفيق.

(١) أخرجه البخاري رقم (١٤٣)، ومسلم رقم (٣٧٥)؛ كلاهما عن أنس بلفظ: «اللهم! إني أعوذ بك من الخبث والخبائث».

الدلائل البينات في تحريم المظاهرات

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله تعالى قبل الآية التي قرئت آنفًا والتي قبلها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب:٦٩].

يحذر الله تعالى عباده المؤمنين من أن يكونوا مثل أولئك الذين أذوا موسى، ثم أمرهم أن يتقوا الله وأن يقولوا قولًا سديدًا، وأن القول السديد هو سبب إصلاح قلوبهم وأعمالهم، قال الله تعالى: ﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧١].

وهو سبب لفوزهم، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [التوبة:٦٩]. أي: خضتم كالخوض الذي خاضوه.

ويقول الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٥].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم:٣١-٣٢].

في هذه الآيات بيان من الله رب العالمين الله سبحانه وتعالى لجميع البرية أن ينتهوا عن متابعة أولئك من قول أو فعل، روى الشيخان في صحيحيهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**» قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟! قال: «**فمن؟**».

وهذا من دلائل النبوة للنبي ﷺ؛ فإنه أخبر أنه سيكون في هذه الأمة من يتابع أولئك، ومنهم عن جهل وآخرون منهم على قناعة، وقد نهى النبي ﷺ عن متابعتهم حالًا وقالًا، بل الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٠٤].

وقد كان اليهود يستعملون هذه الكلمة للسخرية، فنهى ربنا سبحانه وتعالى المؤمنين أن يقولوا هذه الكلمة؛ ابتعادًا عن فعل الكافرين وعدم

التشبه بهم، ولما قالوا: «يا رسول الله! نزلت عليك هذه الآية: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤]، قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله! كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها؟ قال رسول الله ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى وأنزل سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال: نعم. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال: نعم. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ قال: نعم ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٥-٢٨٦]قال: نعم».

عباد الله: قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

مفهوم الآية يدل على أن من قلد الكافرين وتشبه بالكافرين وأرتضى أفعال الكافرين وأعرض عن ذكر الله كان خارمًا للعروة الوثقى، وكان راضيًا بأفعال الطواغيت من يهود ونصارى وكل ما خالف كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ والطاغوت هو: كل ما جاوز به العبد حدَّه، واليهود والنصارى من الطاغوت، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨].

عباد الله: هناك مسألة خطيرة بين المسلمين في أوساطهم تهرول وهي التشبه بالكافرين في أقوالهم وأفعالهم ومعتقداتهم وفي غير ذلك مما هم فيه الآن، وقد صار في بلدنا ما تسمعون وتشاهدون مما يندى له الجبين من

خروج المسلمين كالأنعام، زعموا أنهم ينصرون دين الله بتلك المظاهرات، وهي تشبه بالكافرين وليس لها أصل في ديننا ألبتة؛ إنما ديننا يأمرنا بالصبر وبالدعاء، فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث ابْنِ مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**ستكون أثرة وأمور تنكرونها، قالوا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**».

وجاء من حديث أبي هريرة في الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم؛ فإن الله سائلهم عما استرعاهم**».

وجاء أيضًا من حديث أسيد بن حضير: «**أن رجلًا من الأنصار خلا برسول الله ﷺ فقال: ألا تستعملني كما استعملت فلانًا؟ فقال: إنكم ستلقون بعدي أثرةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**».

يعني: سيقع استغلال للمال وعدم إعطاء من له حق فيه.

هذه إرشادات رسول الله ﷺ بالصبر، ولقد بقي رسول الله ﷺ محاصرًا بجانب الكعبة لم يدخلها وعنده من الناس من عندهم القدرة على القتال ومع ذلك رجع رسول الله ﷺ منتظرًا لفرج الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

ينتظر رسول الله ﷺ الفرج من الله، وقد أصيبوا بالفقر وأصيبوا بالجوع وما كان منهم يومًا أن خرجوا على رسول الله ﷺ ولا على أمير من الأمراء، فقد ثبت في السنن: «**أتت الأنصار النبي ﷺ بجماعتهم فقالوا: إلى متى ننزع من هذه الآبار؟ فلو أتينا رسول الله ﷺ فدعا الله لنا ففجر لنا من هذه الجبال عيونًا؟ فجاءوا بجماعتهم إلى النبي ﷺ فلما رآهم قال: مرحبًا وأهلًا، لقد جاء بكم إلينا حاجة، قالوا: إي والله! يا رسول الله! فقال: إنكم لن تسألوني اليوم شيئًا إلا أوتيتموه ولا أسأل الله شيئًا إلا أعطانيه، فأقبل بعضهم على بعض فقالوا: الدنيا تريدون؟ فاطلبوا الآخرة، فقالوا بجماعتهم: يا رسول الله! ادع الله لنا أن يغفر لنا، فقال: اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار، قالوا: يا رسول الله! وأولادنا من غيرنا؟ قال: وأولاد الأنصار**».

هذا ديننا قائم على مخالفة الكافرين في أقوالهم ومعتقداتهم ومظاهراتهم ومسيراتهم واعتصاماتهم.. وغير ذلك من أنواع التشبه بهم.

وغير ذلك، كما في الصحيحين من حديث أبي سفيان رضي الله عنه: «**أن هرقل قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة**».

وثبت عند أحمد وغيره من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر**

بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها فقال عيسى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم؟ فقال يحيى: أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس فامتلأ المسجد وتعدوا على الشرف فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن:

أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا؛ وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بذهب أو ورق فقال: هذه داري وهذا عملي فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟

وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا؛ فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت.

وآمركم بالصيام؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وآمركم بالصدقة؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال: أنا أفديه منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم.

وآمركم أن تذكروا الله؛ فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله.

قال النبي ﷺ : وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فإنه من جثا جهنم، فقال رجل: يا رسول الله! وإن صلى وصام؟ قال: وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله».

فالمظاهرات التي تحصل هي من دعوى الجاهلية، وقد قال النبي ﷺ : «**ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**» أخرجه الشيخان من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وجاء في البخاري من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه**».

ومر أبو بكر على امرأة حجت وهي صامتة فقال: (تكلمي، فإن هذا لا يحل لك؛ هذا من أمر الجاهلية) خطر عظيم على المسلمين أن يكونوا على هذا الحال من التشبه بالكافرين فيخرجون على تلك الحالة المزرية يزعقون ويزعجون، ويزعمون أنهم يحسنون صنعًا، هذا غرور، والله سبحانه وتعالى قد أبان أن الغرور سبب الهزيمة فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ۞ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [التوبة:٢٥-٢٦].

وفي الصحيح من حديث ابن عباس أنه قال: لم يبق مع رسول الله ﷺ ذلك اليوم إلا العباس وأبو سفيان بن الحارث، الأول يمسك بالركاب والأخر بزمام الناقة، وفروا عن رسول الله ﷺ حتى إن رسول الله ﷺ لم يبق معه أحد وهو يجر بغلته إلى العدو ويقول:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب.

وعندئذ قال للعباس: «**نادِ لي أصحاب الشجرة: فقال: يا أصحاب الشجرة! فانعطفوا على الكافرين وتجالدوا معهم ورسول الله ﷺ يرمي عليهم الحصى ويقول: انهزموا ورب الكعبة فولوا مدبرين**».

إنما أراد الله ليبين للمسلمين عواقب الغرور وإن كانوا أمام قوم كافرين وفي سبيله سبحانه مجاهدين، فما بالك بهؤلاء الهمج المقلدين! قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**»وقال: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**» ألا وإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ** ﴾ [الأعراف:١٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس:٢٧]..

أبوا إلا الهرولة خلف أولئك، والنبي ﷺ قال: «**إن شجرةً كانت تؤذي المسلمين فجاء رجل فقطعها فدخل الجنة**».

فدخول ذلك الرجل الجنة هو بإبعاد ما يؤذي المسلمين، وأنت يا أيها الجاهل تتسبب في أذية المسلمين في طرقهم وبيوتهم وتكسير سياراتهم ونهب متاجرهم!! هذه أذية عظيمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [البروج:١٠].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب:٥٨].

وقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾ [الأحزاب:٦٩].

عباد الله: إياكم وأذية للمسلمين فقد قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعًا وعشرين درجةً؛ وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة لا يريد إلا الصلاة فلم يخط خطوةً إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت**

الصلاة هي تحبسه، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون: اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه، ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه».

ورسول الله ﷺ نهى من أكل ثومًا أو بصلًا أن يدخل المسجد؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

أيها الإنسان ـهداك الله ـ يا من تؤذي غيرك تقليدًا للكفار! اعلم أن هذه همجية وأن هذه صفة من صفات (الرويبضة)، ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**قبل الساعة سنوات خداعة؛ يخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الرويبضة**». قالوا: وما الرويبضة يا رسول الله؟! قال: «**السفيه يتكلم في أمر العامة**».

وفي المظاهرات من سوء الأدب والصراخ ورفع الأصوات، وقد ذكر الله في كتابه الكريم وصية لقمان ومنها: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۞ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ۞ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٧-١٩]. يا أيها المتظاهر: فعلك هذا إهانة للإسلام، وإظهار لوهن الإسلام وضعف المسلمين، وأنهم عاجزون عن التوكل على الله، وعن الضراعة إليه بالدعاء،

والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠].

أَوَمَاْ عند المسلمين حلٌّ إلا الخروج في الشوارع يصيحون كما يصح عوام الغرب؟!

وقد ذكر في الصحيح من أوصاف النبي ﷺ قوله سبحانه في الحديث القدسي: «**عبدي ورسولي! سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر**».

وأولئك يصخبون في الأسواق حتى على مستوى البنات والعجائز، يا سبحان الله!! والله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ **وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ** ﴾ [الأحزاب:٣٣].

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٣].

إن هذا الفعل من أفعالهم ليعتبر غفلة فكيف لو أتى الموت في تلك الحالة وأناس يصرخون ويصيحون بغير ذكر الله سبحانه وتعالى؟ قال النبي ﷺ: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت**» وقال الله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [الجمعة:٩]. ولم يقل الله تعالى: فانتشروا إلى المظاهرات.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١].

وقال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۞ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء:١-٣].

الخطبة الثانية:

الحمد لله الملك الحق المبين، جاعل الباطل ذليلًا وحقيرًا وللحق مؤيدًا ونصيرًا، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠].

أيها الناس: إن هذه المسألة تعتبر اعتراضًا على أقدار الله من حيث الرزق، فلربما ارتفعت بعض الأشياء فترى المسلمين لجهلهم يخرجون يصيحون ويسبون ويشتمون ويلعنون وهم في ذلك يلمزون ويغترون

ويعجبون، والنبي ﷺ يقول -كما ثبت في سنن أبي داود من حديث أنس -: غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! سَعِّرْ لنا، فقال: «**إن الله هو المسعِّر القابض الباسط الرزاق، وإني لأرجو أن ألقى ربي وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال**».

وكان أهل الصفة يجوعون وأحدهم ربما كان لا يجد ما يكسي به نفسه، كان إذا صلى خلف النبي ﷺ يخر من قامته من الجوع والخصاصة، ومع ذلك يأتي النبي ﷺ إليهم فيقول: «**لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقة**» وبعض الذين لا يعلمون بحالهم يقولون: هؤلاء مجانين، ولا يعلمون أنه من الجوع.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «**لقد قعدت يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر فلم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال: يا أبا هر! قلت: لبيك يا رسول الله! قال: الحق، ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنًا في قدح فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: أبا هر! قلت: لبيك يا رسول الله! قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا إلى أحد إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم**

فيها، فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؛ كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربةً أتقوى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: يا أبا هر! قلت: لبيك يا رسول الله! قال: خذ فأعطهم، قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد علي القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم فقال: أبا هر! قلت: لبيك يا رسول الله! قال: بقيت أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله! قال: اقعد فاشرب، فقعدت فشربت فقال: اشرب، فشربت فما زال يقول اشرب، حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا، قال: فأرني، فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة».

الشاهد من هذا: أن تلك الحالات التي حصلت لرسول الله ﷺ ولأصحابه، وما كان بعد ذلك في عام الرمادة الذي حصل لأصحاب رسول الله ﷺ من القحط ما حصل منهم من الصبر يدل على غلط ما عمله هؤلاء الجهال الذين لم يرجعوا إلى أهل العلم إنما إلى الغوغاء من جهلتهم، والله تعالى قد قال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ

فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٣-٤٤].

فأين هذا مما عند القوم وما يدندنون به من أحاديث موضوعة في الحلية والصفوة والذهبي في تاريخ الإسلام وهكذا في الدلائل لأبي نعيم، ومنها ما جاء من طريق إسحاق بن أبي فروة وهو متروك ومن طريق جد عثمان بن أبي شيبة وهو كذاب كذَّبه بعض أصحاب الحديث: (أن عمر بن الخطاب قال له ابن عباس: ما سبب تسميتك بالفاروق؟قال: سبب إسلامي أني في أول الإسلام جئت إلى أختي فاطمة فوجدتها قد أسلمت، فذكر أنه ضربها ثم بعد ذلك ندم وجاء إلى رسول الله ﷺ فجذبه وقال له: أما آن لك يا ابن الخطاب أن تسلم؟فقال: أسلمت، وبعد أن أسلم قال: يا رسول الله! أنتم على الحق، قال: نعم، نحن على الحق، قال: فما ينبغي لنا أن نسكت، فخرجت أنا في صف وحمزة في صف ولنا كديد ككديد الطحين) أي: زجلة.

هذه القصة موضوعة مكذوبة.

الحاصل من هذا: أنه ليس عند القوم ما يحتج به غير ما قاله النبي ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**».

فأنى يكون للناس النصر؟ وأنى يكون لهم الفلاح؟ وأنى يكون لهم الخير وقد رغبوا عن سنة رسول الله ﷺ؟ وقد قال ﷺ: «**فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

عباد الله: إن المخارج من الفتن كثيرة منها الدعاء، فالنبي ﷺ قد كان يدعو يوم بدرٍ حتى يسقط رداءه، فقال أبو بكر: يا رسول الله! كفاك مناشدتك ربك، إن الله منجز لك ما وعدك.

وهكذا لما قتل بعض القراء رفع النبي ﷺ يديه وجعل يدعو ويقول: اللهم انج فلان بن فلان، اللهم أنج فلان بن فلان، ولقد مكث شهرٍ يدعو على قوم، فهذه سبيل من سبل النصر: الدعاء وانتظار الفرج والصبر والتقوى، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۞ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق:٢-٣].

والابتعاد عن الذنب؛ فإننا إذا كنا ظالمين عاصين فلن نكون منصورين؛ لأن الله تعالى ينصر رسله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

والحمد لله رب العالمين.

فضل الإسلام

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

ويقول الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم:٥].

ويقول الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۞ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف:٦٨-٧٠].

في هذه الآيات فضيلة الإسلام وشرائع الإسلام وأن من استمسك بذلك ومات عليه مات على خاتمة حسنة ومات على حال مرضي عند الله

سبحانه وتعالى، ولهذا قال يوسف عليه الصلاة والسلام داعيًا ربه أن يتوفاه على الإسلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

دعا الله عز وجل لأن يتوفاه مسلمًا وأن يلحقه بالصالحين؛ فإن من مات على الإسلام مات مع الصالحين ومن مات على الكفر كان مع الكافرين، وسحرة فرعون هددهم فرعون بالقتل، فأجابوه كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٥٠].. وكما قال أيضًا جل وعلا: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٢٦]، فسألوا الله عز وجل أن يتوفاهم على الإسلام ونعمت الخاتمة حصلوا عليها.

أيها الناس: إن هذا الإسلام يعتبر فلاحًا لمن سار عليه فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه**».

إنه فلاح لا يعدله فلاح أن تموت على الإسلام وعلى التوحيد على شهادة أن لا إله إلا الله فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول: هذا فكاكك من النار**».

الكافر يكون في سجن المؤمن؛ ذلك بأن المؤمن آمن فاستحق الجنة والكافر بكفره استحق النار.

إن أمر الإسلام يعتبر فلاحًا عظيمًا لمن رزقه، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص: «**أنه وهو في سياق الموت بكى طويلًا وحول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول: يا أبتاه! أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا؟ قال: فأقبل بوجهه فقال: إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، إني قد كنت على أطباق ثلاث: لقد رأيتني وما أحد أشد بغضًا لرسول الله ﷺ مني ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه قال: فقبضت يدي، قال: ما لك يا عمرو؟! قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: تشترط ماذا؟ قلت: أن يغفر لي، قال: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟ ..**»إلى آخر الحديث.

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «**يا رسول الله! أرأيت أمورًا كنت أتحنث بها في الجاهلية من عتاقة وصلة رحم هل لي فيها أجر؟فقال له النبي ﷺ : أسلمت على ما أسلفت من خير**»

فمن حسن إسلامه غفرت له ذنوبه ولم يؤخذ بالأول مما عمل مهما كانت ذنوبه.

إن هذا الإسلام فلاح، وإنه ليعتبر مكرمة لكل إنسان تمسك به وسار عليه، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

هذا الإسلام دين الملائكة .. هذا الإسلام دين الأنبياء .. هذا الإسلام دين الصالحين .. هذا الإسلام هو الهدى والرشد وغيره ليس برشد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ❁ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٤-١٥]

هذا خبر الجن أنهم منهم المسلمون ومنهم القاصدون أخبر الله عنهم بذلك، وأن من أسلم -والدليل عام سواء كان من الجن أو من الإنس- فقد تحرى الرشد، قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده! لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة**» وذلك: «**حينما رأى ذلك الرجل يقاتل وهو من أشد الناس على المشركين حتى جرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه، فأقبل الرجل إلى النبي ﷺ مسرعًا فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال، وما ذاك؟ قال: قلت لفلان: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه وكان من أعظمنا غناءً عن المسلمين فعرفت أنه لا يموت على ذلك، . فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه**».

وقال: «**والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**».

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**».

فلا يحصل إيمان إلا بعد إسلام. إن هذا الدين الذي وصى به رسوله ﷺ وسائر لأنبياء قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣٣].

إبراهيم يتعاهد ذريته كما أوصاه الله سبحانه وتعالى بذلك: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

إن هذا الإسلام يؤمنك من الضنك الحاصل للكافرين، ويضمن لك أهلك ومالك ويضمن عليك حياتك ويضمن لك مستقبلك ويضمن لك سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ

رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۞ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٧]، قال رسول الله ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا**».

دماء المسلمين معصومة أعراض المسلمين معصومة أموال المسلمين معصومة إلا إذا أخذت بحقها على ما في ذلك من الأدلة والتفاصيل.

إن هذا الدين دين النعمة. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

هذه نعمة من الله سبحانه وتعالى، ومن لم يعرف هذه النعمة يخشى أن تسلب عنه، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧]

هذه نعمة، دين الإسلام دين الأخوة ودين المحبة ودين التآلف ودين التزاور ودين مكارم الأخلاق وكل ذلك بحسبه، فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند الإمام مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هاهنا -ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**».

وهكذا أيضًا يقول رسول الله ﷺ: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**».

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٤]

فإن الإسلام يتحقق من خلال الإيمان وكل ما كان الإنسان أكثر قربًا إلى الله قوي إسلامه وفضل إسلامه، سئل رسول الله ﷺ فقيل له: «**يا رسول الله! أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده**» متفق عليه من حديث أبي موسى.

وعن عَبْدُ الله بْنُ سَلَامٍ عن النبي ﷺ قال: «**يا أيها الناس! أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام**».

الإسلام يتفاضل وهكذا قول النبي ﷺ: «**أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين؛ فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**».

ومعنى ذلك أن من أسلم من أهل الكتاب يؤتى أجره مرتين كما قال النبي ﷺ في هذا الحديث وفي غيره.

أيها الناس! إن هذا الإسلام يعتبر غريبًا كما قال النبي ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا فطوبى للغرباء**».

طوبى لمن تمسك به على غربته.. طوبى لمن قبض عليه في آخر الزمان.. طوبى لمن طبقه كما أتى به رسول الله ﷺ.

إن التفلت عن هذا الإسلام والبعد عن هذا الإسلام يعتبر انتكاسة ونكدًا، وإن الله سبحانه وتعالى ليرفع العبد المسلم يوم القيامة إيمانه وإسلامه وتقاه، وإن الله سبحانه وتعالى ليخلف الإنسان المسلم بصدق إيمانه وإسلامه وتقاه، قال النبي ﷺ: «**إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقًا في الدنيا على طاعته**».

الإسلام يجعلك تستفيد من عمرك وتستفيد من حياتك وتستفيد من نفسك إذا أنت مت عليه على دين الإسلام.

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد جاء في الحديث: «**كنا مع النبي ﷺ في قبة فقال: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا: نعم. قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر**».

إن الدين عند الله الحنيفية السمحة ثبت ذلك من حديث أبي عند الترمذي أن النبي ﷺ قال له: «**إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقرأ عليه:** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ..﴾ [البينة: ١-آخرها]».

وفيها أن الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية، «**من يعمل خيرًا فلن يكفره، وقرأ عليه: لو أن لآبن آدم واديًا من**

مال لابتغى إليه ثانيًا ولو كان له ثانيًا لابتغى إليه ثلاثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» هكذا ثبت عند الترمذي عن أبي رضي الله عنه.

فالدين عند الله الحنيفية السمحة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

ويقول: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الأنعام:١٦٤].

إن هذا الإسلام يجعلك أيضًا تربح من حياتك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [الزمر:٥٣-٥٤].

فمن أسلم وحسن أسلامه قبل قيام الساعة وقبل تلك الآيات فإنه ينفعه أسلامه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل الآية الدجال والدابة وطلوع الشمس من المغرب أو من مغربها»**.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٨].

البدارَ.. البدارَ.. أيها الناس! الإسلام والعمل بالإسلام، قال أحد أصحاب النبي ﷺ وهوه سفيان بن عبد الله الثقفي قال: «**قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك. قال: قل: آمنت بالله ثم استقم**».

فالإسلام هو الاستقامة، والإسلام هو السنة، والإسلام هو السير على ما سار عليه رسول الله ﷺ.

يقول ﷺ: «**اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم**».

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

إن الدين عند الله الحق هو دين الإسلام، وسائر الأنبياء دينهم دين الإسلام، فمن ابتعد عن ذلك فقد ابتعد عن سائر الأنبياء بنص هذه الآية وغيرها.

فاحذر أيها المسلم أن تنقض إسلامك فتكون من الخاسرين، أحذر أن تنقض إسلامك بالشرك بالله فتكون من الخاسرين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۞ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

وذكر سبحانه جملة من الأنبياء في سورة الأنعام ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

فالشرك بالله محبط للإسلام ومحبط وناقض للإسلام، وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

احذر -أيها المسلم- أن تنقض إسلامك فتكون في النار من الخالدين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

ويقول الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۞ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٢٥-٢٨].

ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤].

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من بدل دينه فاقتلوه**».

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والثيب الزاني والمارق من الدين التارك للجماعة**».

فربما يرتد الإنسان بكلمة يقولها، كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق**»

وقال ﷺ: «**إن أحدكم أو الرجل يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**».

وكان رجل مسلم آمن بالنبي ﷺ فارتد عن دينه وبعد أن ارتد قال: ما يعلم محمد إلا ما أعلم! فقال ﷺ: «**إن الأرض لن تقبله، فذهبوا ليدفنوه فوجدوه قد لفظته الأرض، فدفنوه فلفظته الأرض**».

فأحذر أيها المسلم أن تنفض إسلامك احذر على نفسك أن تنقض إسلامك بعدم تكفير الكافر المتيقن كفره فإن الله سبحانه وتعالى قد كفرهم في كتابه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦]

فالله حكم عليهم بذلك وأخبر أنهم شر البرية وأخبر أنهم في النار قال الله: ﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧].

وقدجاء تكفيرهم ولعنهم وبيان حالهم في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ وعدم الإيمان بذلك يعتبر تكذيبًا للقرآن قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٨].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

احذر أيها المسلم أن تنقض إيمانك باعتقاد أن هدي غير رسول الله طريقته أفضل من طريقته ﷺ فإن ذلك ناقض للإسلام وخسارة أيما خسارة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

احذر أيها المسلم أن ينتقض إسلامك ببغض ما جاء به النبي ﷺ أو بعض ما جاء به النبي ﷺ مما هو من دين الإسلام فإن ذلك ناقض للإسلام، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد:٢٨].

أحذر أيها المسلم أن تنقض أسلامك بالاستهزاء بدين الله أو بالله أو برسوله أو بدينه أو بالعلماء علماء الحديث وسنتهم فإن ذلك ناقض للإسلام، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

وقال الله سبحانه وتعالى مبينًا خطر ذلك أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ * وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ * فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين:٢٩-٣٦].

احذر -أيها المسلم- أن تنقض أسلامك بالسحر أو بالكهانة فإن ذلك ناقض للإسلام العظيم قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢].

فالسحر ناقض للإسلام، كما قال ﷺ: «**من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**».

وهكذا ثبت من طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**».

احذر أيها المسلم إن تنقض إسلامك بمناصرة الكافرين؛ فإن مناصرة الكافرين على المسلمين وغير المسلمين ردة يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:٥١]

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٤٤].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣].

موالاة الكافرين ومحبة الكافرين تعتبر ردة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ

فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران:٢٨].

وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

فمن والاهم فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى؛ فالطاغوت هو: كل ما جاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، كذا عرفه ابن القيم رحمه الله، وأخذ أهل العلم هذا التعريف وارتضوه.

احذر أيها المسلم أن تنقض إسلامك بالإعراض عن دين الله، فإن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٧].

وفي الحديث: «**وأما الثالث أعرض فأعرض الله عنه**».

ثم إن هذه من نواقض الإسلام ومن نواقضه أيضًا ما سبق بيانه، فعلى المسلمين أن يتقوا الله وإن يحرصوا على سلامة دينهم، وأن يعلموا أن من مات على إسلام مات على خير ومن مات على كفر مات إلى النار وبئس القرار. ونسأل الله السلامة والعافية. والحمد لله رب العالمين.

فضل العمل بالقرآن

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٧-٥٨].

فعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ سعادة، علم ذلك هدى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩].

فهو سعادة، والعالم بالقرآن الماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأه ويتتعتع فيه له أجران، ومما يدل على فضل العلم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والصبر على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ

لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

مما يدل على فضل تلقي علم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ قوله ﷺ: «**من سلك طريقًا يلتمس فبه علم سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**» وهكذا قوله ﷺ: «**وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يطلب**».

لكن الأعظم من هذا كله والأخطر من هذا كله أن يتلقى العلم صغيرًا وأن يتركه كبيرًا.. أن يتلقى العلم ويتعب في تحصيله، ويصير إلى ما صار إليه بعض بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٧].

وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:٥].

روى البخاري في صحيحه من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من**

رؤيا؟ فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال لنا ذات غداة: إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه، فيثلغ رأسه، فيتدهده الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى! قال: قلت لهما: سبحان الله! ما هذان؟ قالا لي: هذا الرجل يأخذ القرآن، ثم يرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة».. الحديث.

العمل بالعلم أهم من تحصيله، العمل بالعلم أوجب من تحصيله، عدم العمل بالعلم أشد من عدم تحصيله.

روى أحمد في مسنده وأبو داود في سننه من حديث زياد بن لبيد وهو من طريق سالم بن الجعد ولم يسمع منه، وثبت من حديث عوف بن مالك الأشجعي ومن حديث شداد بن أوس قال: ذكر النبي ﷺ شيئًا فقال: **«وذاك عند أوان ذهاب العلم، قال: قلنا: يا رسول الله! وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: ثكلتك أمك يا ابن أم لبيد إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة، أوليس هذه اليهود والنصارى يقرءون التوراة والإنجيل لا ينتفعون مما فيهما بشيء؟»**.

هؤلاء بنو إسرائيل رفع العلم من عندهم وعندهم التوراة لم يعملوا بها.

قال جبير بن نفير راوي الحديث عن شداد بن أوس: فوجدت شداد بن أوس فأخبرته فقال: نعم صدق عوف بن مالك، أتدري ما رفع العلم؟ قلت: لا، قال: رفع العلم عدم العمل به.

وبوب الإمام البخاري في صحيحه: باب العمل بالعلم، وذكر حديث أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: «**إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفةً منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**».

هذا مثل من لم يرفع رأسه بما جاء من عند الله كمثل الأرض السبخة التي لا ينتفع منها أحد، وذلك الصنف الذي انتفع بعلم الله ودينه مثله كالأرض الطيبة المثمرة.

وروى الإمام أبو داود في سننه من حديث ثوبان أن النبي ﷺ قال: «**من يضمن لي أن لا يسأل الناس شيئًا وأضمن له الجنة؟ قال ثوبان: أنا، فكان ثوبان لا يسأل الناس شيئًا**» عملًا بذلك العلم الذي سمعه من رسول الله ﷺ.

وروى الشيخان في صحيحيهما من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: «**سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى.**

قال حكيم فقلت: يا رسول الله! والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيمًا ليعطيه، فيأبى أن يقبل منه شيئًا، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه، فأبى أن يقبله. فقال: يا معشر المسلمين! أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء، فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى توفي».

هذا هو العمل بالعلم.

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عن عبد الله بن عباس: «**أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده؟! فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خذ خاتمك انتفع به، قال: لا والله لا آخذه أبدًا وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**».

عملًا بذلك الذي سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إن عدم العمل بالعلم خطير جدًا.

وقد ثبت من حديث عن ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال: «**لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضًا فيجعلها الله عز وجل هباءً منثورًا، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا؛ أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**».

ما عندهم عمل بما علموا من رسول الله ﷺ وإلا فهم من المسلمين.

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أول من تسعر بهم النار يوم القيامة- وذكر منهم- رجل تعلم العلم وعلمه فيؤتى به فيقال: ماذا عملت بعلمك فيقول: تعلمت فيك العلم وقرأت فيك القرآن فيقال له: كذبت، إنما تعلمت العلم من أجل أن يقال: عالم وقرأت ليقال: قارئ فقد قيل، ثم يسحب على وجه في النار**»، هذا ما عمل بعلمه لله، هذا دجال لم يعمل لله سبحانه وتعالى وإنما تظاهر وتزلف ولم يعمل بعلمه.

وثبت من حديث أبي برزة وابن مسعود وجاء عن معاذ رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه**».

وقال رسول الله ﷺ: «**يؤتى يوم القيامة برجل فتندلق أقتاب بطنه في النار ويدور حول أمعائه كما يدور الحمار حول الرحى، فيقبل عليه أصحاب النار فيقولون: ما لك يا فلان؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف فلا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**» . هذا الحديث في الصحيحين.

إن هذه الطريقة- طريقة من لم يعمل بالعلم -هي طريقة غير ألأنبياء، أما ألأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه فيقول أحدهم: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٦٢].

أسباب مرضاة الله

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن السعيد في هذه الحياة الدنيا من قام بمرضاة الله سبحانه وتعالى وسخر أوقاته وأنفاسه وجميع أعماله لذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم:١-٥].

فزكريا عليه الصلاة والسلام يبتهل إلى ربه عز وجل أن يرزقه ولدًا بعد كبر السن، وأن يكون ذلك الولد مرضيًا عند الله سبحانه وتعالى.

إنه لا يصلح في هذه الحياة الدنيا إلا حال من سعى في مرضاة الله يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٧].

أثنى الله عز وجل على من يعمل بمرضاة الله وشغل نفسه بذلك؛ فالأعمال لا تقبل إلا إذا كانت على ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٦٥].

ففي هذه الآية يبين ربنا سبحانه أن الذين يعملون في مرضاة الله سبحانه وتعالى يضاعف الله أعمالهم، ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ﴾، أي: كمثل جنة بمكان مرتفع، ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾، أي: مطر. ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾، أي: فطل في ذلك المكان وهو رقاق المطر وعلى الوجهين؛ فإنها تؤتي أكلها ضعفين، وأنها تأتي بثمرتها في العام مرتين، فكذلك من يعمل وينفق ويبتغي بذلك وجه الله ومرضاة الله سبحانه وتعالى فيضاعف الله سبحانه وتعالى له أجره.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٤].

فجميع مناجاة الناس ومناداتهم ومكالمتهم ومحادثتهم لا خير فيها إلا من كانت تحت هذا المعنى من مرضاة الله: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ .

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

فلا ينفع عند الله سبحانه وتعالى إلا العمل بمرضاته، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٢٨].

فلا تصح الشفاعة ولا تقبل من أحد حتى يرضى الله عن الشافع، ويرضى عن المشفوع فيه أن يشفع فيه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا * وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:١٠٩-١١٣].

﴿عنت﴾ أي: خضعت للحي القيوم، وقد خاب في ذلك اليوم من حمل ظلماً ومن هنا نكرة يشمل أي ظلم حمله الإنسان.

ويقول الله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦] .

إنها لمن أعظم الأمور -ابتغاء مرضاة الله تعالى- وأن الله عز وجل قد جعل لذلك أسباباً يرضى بها عن العبد، فقد روى الإمام البخاري في

صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه**».

فأبان الله في هذا الحديث القدسي أن من أسباب مرضاة الله ومحبته أداء الواجبات والتقرب إلى الله بنوافل الطاعات.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إن ثلاثةً من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس؛ فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونًا حسنا . فقال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل ـ أو قال: البقر شك الراوي ـ فأعطي ناقةً عشراء، فقال: بارك الله لك فيها.**

ثم أتى الأقرع، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس؛ فمسحه فذهب عنه وأعطي شعرًا حسنًا . قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرةً حاملًا، وقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى، فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر الناس؛ فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطي شاةً والدًا، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم.

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيرًا أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة . فقال: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرًا فأعطاك الله؟! فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري؟ فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت؛ فوالله! ما أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل. فقال: أمسك مالك؛ فإنما ابتليتم . فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك».

أداء الواجبات والتقرب إلى الله بالطاعات من أسباب مرضاة الله عز وجل.. ففي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «جاءني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي، فقلت: يا رسول الله! إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت: فالشطر يا رسول الله؟! فقال: لا،

قلت: فالثلث يا رسول الله؟! قال: الثلث والثلث كثير أو كبير؛ إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالةً يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقةً تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك، قال: فقلت: يا رسول الله! أخلف بعد أصحابي؟ قال: إنك لن تخلف فتعمل عملًا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجةً ورفعةً».

ولقد كان رسول الله ﷺ يدعو ربه أن يعينه على مرضاته عز وجل؛ فقد روى ابن أبي عاصم في السنة من حديث جذامة بن عبيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**».

إن من أعظم القربات إلى مرضاة الله الرضا بعد القضاء، ولهذا ثبت في صحيح البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ علمه صلاة الاستخارة ودعاء الاستخارة فقال: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليصل ركعتين غير الفريضة، يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كان هذا الأمر خيرًا لي في ديني وعاقبة أمري فيسره لي واقدره، ثم بارك لي فيه، وإن كان شرًا لي في ديني وعاقبة أمري فاصرفه عني، وأقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به**».

فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث العباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا**».

رضي بالله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وفي أحكامه وشرعه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران:١٦٢] رجل يتبع مرضاة الله وآخر يبوء بسخط الله؟ لا شك أنه لا مساواة.

ويقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:١٤-١٥].

أهذا أعظم أم الفتن والمعاصي ولو خالف شرع الله.

عباد الله: إن الله سبحانه وتعالى قد بين أسباب مرضاته في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ذلك ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه عن

رسول الله ﷺ قال: «**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها**».

فعلى العبد أن يشعر بنعمة الله عليه التي أعطاها وأسداها إليه، فمن الذي يعطيك ويسقيك؟! ومن الذي إذا مرضت فهو يشفيك؟!

وقد ثبت في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته فسلوني الهدى أهدكم، وكلكم فقير إلا من أغنيت فسلوني أرزقكم، وكلكم مذنب إلا من عافيت فمن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا أبالي**».

إن الشعور بنعمة الله في الدنيا والدين في المطعم والمشرب والعبادة والطاعة من علم واستقامة من أفضل القربات ومن أعظم أسباب مرضاة الله عز وجل.

روى أهل السنن من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله تعالى**».

فأبان رسول الله ﷺ أن هذه الأعمال مما يرضاها وقد أمر بها ربنا سبحانه.

وهكذا صلة هذه الولية المسكينة وليها القاطع رحمها من أسباب مرضاة الله عليها؛ ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله

ﷺ: «**إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرءوا إن شئتم:** ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد:٢٢-٢٣]».

عباد الله: إن أجل أسباب مرضاة رب العالمين البعد عن الشرك به عز وجل والامتثال لكتاب الله.

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**».

ومن أعظم أسباب مرضاة الله الصبر على البلاء؛ فقد ثبت في سنن الترمذي من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة، ومن سخط فله السخط، ومن رضي فله الرضا**».

وفي الصحيح عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: «**ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك**

الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك؟ قالت: أصبر، قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها».

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول: «**ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته**».

والصدق من أسباب مرضاة الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩].

وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «**ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا! أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**».

بسبب رضاهم عن الله رضي الله عنهم، بسبب رضاهم عن الله وشرع الله وقناعتهم بدين الله واتباعهم لذلك رضي الله عنهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

من أعظم أسباب الرضا من الله عز وجل الاتباع لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ

جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥ـ١٦].

فلا يهدى ولا يوفق إلا من كان متبعًا لمرضاة الله.

إن مسألة الرضا عن الله والرضا بالله سبحانه وتعالى من أعظم الغنى في جوف العبد، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه**».

فكن راضيًا عن الله بما أعطاك من الدنيا؛ فليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس، والله المستعان.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا فيه إلى يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

أما بعد:

روى الإمام مسلم في صحيحه ـ وأصل الحديث في الصحيحين ـ عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرةً ويكبو مرةً وتسفعه النار مرةً، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة فيقول أي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم! لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها؟فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم! ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي**

أحسن من الأولين فيقول: أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها، فيقولك: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليها، فيدنيه منها فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم! ما يصريني منك، أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين، فضحك ابن مسعود فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟! قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر».

شاهدنا أنه من رضي سبحانه وتعالى عنه فهو من السعداء في الدنيا والآخرة.

وقد ثبت عن النبي ﷺ معلمًا لأصحابه حاثًا لهم تلك الأسباب المرضية: «**السواك مطهرة للفم مرضاة للرب**».

ومن أَجَلِّ تلك الأمور الشوق إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى وإلى لقائه؛ ففي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقلت: يا نبي الله! أكراهية الموت فكلنا نكره الموت؟ فقال ليس كذلك، ولكن**

المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه».

وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحةً قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها! إلى أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق**».

فكن -أيها المسلم- سائرًا في مرضاة الله سبحانه وأبشر؛ فقد جاء من طرق عن النبي ﷺ قال: «**من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عنه وأسخط عليه الناس، ومن أسخط الناس برضا الله رضي الله عنه وأرضى عليه الناس**».

يقول ربنا عز وجل: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود:٥٦].

إن الله سبحانه وتعالى إذا رضي عنك سخر لك عملًا صالح تعبده عليه وتسلك إليه، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا رضي الله عن العبد يسر له عملًا صالحًا حتى يلقاه به**».

جاء هذا عن ابن مسعود وعن حذيفة وعن أبي ذر وآخرين، والمعنى: حتى يقبضه الله عز وجل على ذلك العمل الصالح، فأنت كن ساعيًا فيما أمرك ربك.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥ـ٧]، وعند أن تلقى ربك على ذلك الحال يقول الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢٧ـ٣٠].

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لذلك والحمد لله.

أسباب تساقط الدعاة

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن أعظم وظيفة يقوم بها الإنسان في هذه الحياة الدنيا هي وظيفة الأنبياء الذين ابتعثهم الله سبحانه وتعالى واجتباهم لها، ألا وهي تبليغ رسالة الله سبحانه وتعالى وتبليغ هذا الدين، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦].

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

ويقول سبحانه: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢١].

فجميع الرسل والنذر من بين يدي عاد ومن قبله ومن بعده كلهم كانوا يدعون إلى الله سبحانه وتعالى داعين إلى محامد الأمور ومحذرين عن أراذلها، بادئين بتوحيد الله سبحانه وتعالى؛ فيحثون الناس عليه ويدعونهم إليه،

ويحذرونهم من الشرك بالله سبحانه وتعالى؛ فيبلغون الناس رسالة الله سبحانه؛ فما هناك أعظم ولا أشرف للعبد في هذه الحياة الدنيا من أن يسلك مسلك الأنبياء الذين يقول الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام:١٢٤] .

فالله عز وجل يقول لنبيه ﷺ: «**يا محمد! إني مبتليك ومبتلٍ بك ومنزل عليك قرآنًا لا يغسله الماء ـ أي: هو محفوظ في الصدور قائمًا وقاعدًا ـ ولن أقبضك حتى أقيم بك الملة المعوجة فأفتح بك قلوبًا غلفًا وأعينًا عميًا وآذانًا صمًا**».

هذه دعوة الله التي أصطفى من أراد من عباده إليها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، فليس هناك على وجه الأرض في الدنيا أحسن من هذا الصنف بنص قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ .

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨] .

والنبي ﷺ كان يدعو إلى الله من أول أمره إلى آخر حياته وهو يدعو إلى الله سبحانه وتعالى، حتى عند الموت وهو يحذر الناس من الشرك بالله ويحثهم على توحيد الله ويأمرهم بذلك.

قال النبي ﷺ : «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك**».

هذا كلام رسول الله ﷺ وهو في سكرات الموت، ولم يزل يدعو إلى الله ويحث الناس على طاعة الله من صلة الأرحام وإقامة الصلوات وشعائر دين الله سبحانه وتعالى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] .

وأنت حين ترى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى تعلم أن الله سبحانه وتعالى قد فضل الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى على قدر دعوتهم إلى الله وأكرمهم وشرفهم.

ثم أخبر مبينًا ومحذرًا من أولئك الذين خادعوا وغشوا في دين الله باسم الدعوة التي يثق بها القريب والبعيد والصغير والكبير ـ فإن اليهود والنصارى فتنوا من هذا الباب ـ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ

ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٧].

فشبه الله هذا الصنف بالكلاب.

وقال عن بني إسرائيل عن الذين فسقوا منهم: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:٥] .

فأولئك الذين شرفهم ربهم بهذه الدعوة رجعوا على علم وتقهقروا على بينة وانحرفوا بعد بصيرة فكانت العاقبة لهم من الله الخسران.

ثم بين الله سبحانه وتعالى طريقة تمردهم فقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٧١] أي: أنتم تعلمون أنه الحق وتكتمونه وتلبسون الحق بالباطل.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ * وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ * وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٤٠-٤٢] .

فكانت كثير من الآيات في سياق التحذير من أولئك الذين مكنهم الله في هذه الدعوة ثم كذبوها بسبب المطامع الدنيوية والمآرب الشخصية.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩] .

فمن كان كذلك يستحق الويل والعذاب على تلك الكتابة المكذوبة على الله أنها من دين الله ومن كلام الله ويستحق العذاب لأنه يشتري بآيات الله ثمنًا قليلًا.

عباد الله: إن من سقوط الدعاة ومسخهم بعد معرفتهم بالحق من الباطل والرشد من الغي لأمر محزن، ولكن لذلك أسباب منها: عدم الصراحة والبيان وعدم قول الحق وإن كانت فيه تلك المرارة التي قالها النبي ﷺ في حديث عبادة بن الصامت وأبي ذر.

ففي الصحيحين من حديث عبادة قال: «**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم**».

وأوصى أبا ذر فقال: «**وأن تقول الحق ولو كان مرًا**».

فلا يرفع الله عبدًا إلا بالنصيحة لدين الله سبحانه وتعالى؛ فقد سقط في الساحة من بني إسرائيل ومن هذه الأمة خلق لا يحصى عددهم إلا الله ممن ينتمون إلى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى بسبب عدم البيان وبسبب

إلباس الحق بالباطل وبسبب الاحتيال على دين رب العالمين الذي لا يقبل الاحتيال الباطل ولا الغش.

روى الشيخان في صحيحيهما من حديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم الشغار؛ من أجل ما فيه من الحيلة التي تحرم تلك المرأة حقها، فقال ابن عمر رضي الله عنه: «**نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشغار . قال عبيد الله لنافع مولى ابن عمر: ما هو الشغار؟ قال: أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه ابنته**» أي: بغير صداق من أجل أن يحتال على المرأة فيحرمها ما أوجبه رب العالمين لها بكتابه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيزوجها بغير صداق، وجمهور أهل العلم على بطلان ما كان هذا مسلكه.

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**لا ترتكبوا ما ارتكبت يهود فتستحلوا ما حرم الله بأدنى الحيل**».

فلعنة الله على اليهود كانوا يستحلون محارم الله بالاحتيالات على دينه.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ❁ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ❁ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ❁ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف:١٦٣-١٦٦].

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

إن التمالؤ والسكوت عن الباطل الذي يعتقده الإنسان لهو سبب عذاب الله؛ فقد روى أهل السنن من حديث أبي بكر أنه قال: «**أيها الناس! إنكم تقرءون هذه الآية:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المائدة:١٠٥] **وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**».

وفي الصحيحين من حديث عن أبي هريرة: «**أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللًا فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟قال: أصابته السماء يا رسول الله! قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غش فليس مني**».

من غش أو خان فإن رسول الله ﷺ قد هدده بهذا الوعيد.

وروى الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا فضل الكلأ**».

احتيال على منع الكلأ من أجل ألا يرتعوا بأنعامهم احتيالًا في دين الله سبحانه وتعالى.

وفي الصحيحين من حديث أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو مما أسمع منه؛ فمن قطعت له من حق أخيه شيئًا فلا يأخذه؛ فإنما أقطع له به قطعةً من النار**».

فبعضهم عنده لسان طويل يريد أن يغير الحق ويلبس الحق ويجعله في صورة حق في صورة النقي التقي البر.

وفي الصحيحين أن أبا هريرة قال: «**اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقضى رسول الله ﷺ أن دية جنينها غرة عبد أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها وورثها ولدها ومن معهم، فقال حمل بن النابغة الهذلي: يا رسول الله! كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمثل ذلك يطل؟ فقال رسول الله ﷺ: إنما هذا من إخوان الكهان من أجل سجعه الذي سجع**».

لأنه أتى بطلاقة لسانه وجعل يزين نطقه على أن يظهر الباطل في صورة الحق.

نسأل الله السلامة والعافية.

الخطبة الثانية:

الحمد لله جامع الناس ليوم لا ريب فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العالم بما تعلنه الصدور وتخفيه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث بكل حق وبصيرة فلم يمت عليه الصلاةوالسلام حتى تركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

أيها الناس: هذه ما هي إلا فقرة واحدة من فقرات كثيرة من أسباب سقوط الدعاة في هذه الساحة في القرون الغابرة والحاضرة: عدم البيان.

وهكذا حب الدنيا على حساب الدين.

فقد روى الترمذي في جامعه بسند صحيح من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**».

وهذا شيء عجيب! فلو أرسلت ذئبًا في غاية الضراوة إلى زريبة غنم لم يكنونا يفسدان فيها مثل ما كان يفسد دينك بسبب حرصك على حظك وشرفك، أعني: بذلك الشرف الدنيوي وإلا فما هناك شرف من دون الله، وحرصك على المال من أين ما أتى ولو بالاحتيالات؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال**». رواه الترمذي بسند حسن من حديث كعب بن عياض رضي الله عنه، وهذا هو الذي كان يخافه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الدعاة من أصحابه وغيرهم إلى يومنا هذا.

وفي الحديث: «**أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ، فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟ فقالوا: أجل يا رسول الله! قال: فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله! ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**».

فرسول الله ﷺ أكثر ما يخافه علينا هو هذا الأمر من التنافسات فيها، والداعية إلى الله من أول من يدخل في هذا، أعني من أول من ينصب عليه هذا الخوف؛ فإنه يضحي بشيء ثمين .. فإنه يضحي بدعوة نفيسة .. فإنه يضحى برتبة عالية لا تساويها الدنيا والله؛ من أجل المطامع.

وروى الشيخان في صحيحيهما من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: «**سألت النبي ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني، ثم قال: إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى. قال: حكيم فقلت: يا رسول الله! والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر رضي الله عنه**

يدعو حكيمًا ليعطيه، فيأبى أن يقبل منه شيئًا، ثم إن عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه، فأبى أن يقبله. فقال: يا معشر المسلمين! أشهدكم على حكيم أني أعرض عليه حقه الذي قسمه الله له في هذا الفيء، فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحدًا من الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى توفي».

وفي الصحيحين من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه أيضًا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو قال: حتى يتفرقا؛ فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما».**

عباد الله: وهكذا يمر أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك المنوال ويلقنهم تلك الدروس التي فيها غاية العفة والكمال البشري.

فقد جاء من حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: **«كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعةً أو ثمانيةً أو سبعةً فقال: ألا تبايعون رسول الله؟وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله! ثم قال: ألا تبايعون رسول الله؟ فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله! ثم قال: ألا تبايعون رسول الله؟ قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله! فعلام نبايعك؟ قال: على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا والصلوات الخمس وتطيعوا، وأسر كلمةً خفيةً: ولا تسألوا الناس شيئًا، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه».**

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتيهم بهذه الدروس، ومثل ذلك ما جاء في قصة قبيصة كما في البخاري حين أتى وتحمل حماله يستعين به على تلك

الحمالة، أي: أنه تحمل مالًا في الصلح بين المسلمين وأتى إلى النبي ﷺ يستعين به على ذلك، فقال: «**يا قبيصة! إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة حلت له المسالة حتى يجدها، ورجل أصابته فاقة حتى يجد سدادًا من عيش، ورجل اجتاحت ماله جائحة فحلت له المسألة، وما سواهن يا قبيصة! سحت يأكلها صاحبها سحتًا**».

ألا وإن أسباب سقوط الدعاة لهو أمراض النفوس والله! يقول أيوب بن أبي تميمة السختياني رحمه الله: إني أسمع بموت رجل من أهل السنة كأن عضوًا من أعضائي سقط.

ولهذا فإنه يجب على كل ناصح أن ينصح أخاه على ما أمر رسول الله ﷺ: «**الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

و جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا؛ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**».

ألا وإن من أعظم سقوط الدعاة الافتئات من علماء السلف؛ فإن ذلك يؤدي إلى السقوط يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ

لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠] .

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥] .

قال رسول الله ﷺ: **«فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**.

تنبيهات في الحث على الطاعات

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ❁ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله سبحانه وتعالى قد جعل المكلفين منقسمين إلى قسمين: مؤمن وكافر .. بر وفاجر، ومحق ومبطل، وهكذا لا ترى إلا هذا، وإن كان أهل الكبائر داخلين إن شاء الله في أهل الجنة إن ماتوا على التوحيد وعلى طاعة الله سبحانه وتعالى وإن حصلت منهم ذنوب قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢] .

بين الله تعالى أن الناس إما مستجيب وإما معرض محق أو مبطل، وأن الإعراض هلك به أمم وسقطت به أقوام وضلت به دعوات وأزيلت به فرق وجماعات وأشخاص وجنود وقبائل، كل ذلك بسبب الإعراض عن ذكر الله وبسبب الإعراض عن دين الله الحق، وأنت لو قرأت كتاب الله ترى أممًا أعطيت قوة وأعطيت إبداعا ولا يزال ذكرها في كتاب الله- مع ما أعطيت من قوة- لا تزال اللعائن تترى عليهم في كتاب الله بسبب إعراضهم عن رسلهم الذين أرسلهم الله ليدعوهم إلى الصراط المستقيم وإلى التوحيد.

أيها الناس: إننا نلاحظ في كثير من الناس إعراضًا عن كلمة الحق وعن دعوة الحق وعن الصدع بالحق، وهذا والله! لهو خطر على الأمة، وإذا تمادوا على ذلك يصير خطرًا عليهم؛ فإن الله تعالى مسخ أمة من الأمم قردةً وخنازير بسبب إعراضهم وعدم استجابتهم، قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۞ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف:١٦٣-١٦٦].

بسبب الإعراض هلكت أمة كان أحدهم يرى أخاه على المنكر ثم يراه على المنكر مرة أخرى فلا يبالي أن يكون أكيله وطعيمه وجليسه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، كما قال رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل لما وقع فيهم النقص كان الرجل فيهم يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه، فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ونزل فيهم القرآن فقال:** ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟

يَعۡتَدُونَ ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩] **فقرأ حتى بلغ:** ﴿ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾[المائدة:٨١].

قال: وكان نبي الله ﷺ متكئًا فجلس فقال: لا حتى تأخذوا على يد الظالم فتأطروه على الحق أطرًا».

أيها الناس: إن الإعراض عن ذكر الله سبب الانتقام من الله سبحانه وتعالى مع ما علمتم من إهانة الله لأمم بسبب إعراضهم عن ذكر الله وعن الحق، كل ذلك سبب لعنة الله وسبب الانتقام؛ فالله يغار كما قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله»**.

فالله يغار على دينه الله وينتقم من المجرمين يقول الله سبحانه وتعالى مبينًا أن الإعراض إجرام ومبينًا أنه من أسباب الانتقام: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآۚ إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة:٢٢] .

هذا نذير خطر، سماهم الله تعالى مجرمين ووعدهم بالانتقام ما داموا على انحراف.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴾ [الكهف:٥٧] .

فاتق الله أيها المسلم؛ لكي لا يطبع الله على قلبك بسبب الإعراض؛ فأنت السبب في نفسك وأنت تتسبب في طمس البصيرة وفي عدم الفهم للحق والأخذ به، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٥٧] .

الإعراض عن الحق خطر عظيم على الناس، فوالله إن أعرضوا عن دين الله الحق وعن كلمة الحق وأعرضوا كذلك عن كتاب ربهم وعن سنة نبيهم ﷺ فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون، يقول الله سبحانه وتعالى مبينًا أن كثيرًا ممن دخل النار بسبب الإعراض وبسبب التكبر والبعد عن دين الله الحق: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف:٧٧-٧٨]، ويقول الله تعالى لنبيه مبيناًأنه يقص عليه أنباء السابقين: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا * مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا * يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه:٩٩-١٠٤] .

كانوا يتخافتون كم لبثتم؟ قالوا: عشرًا، وقد لبثوا أكثر من ذلك، لكن قابلوا هذا اللبث وهذا المكث وهذا الزمن وهذه الحياة بالإعراض.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۞ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه:١٢٤_١٢٧] .

إن أنت أعرضت عن ذكر الله فستتعب لأنك تحاد الله؛ والذي يعادي ربه لا يفلح، والذي يهينه ربه لن يعزه أحد، والذي يذله ربه من يكرمه؟ والذي يعادي ربه من يواليه؟ قال الله سبحانه وتعالى﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۞ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه:١٢٤_١٢٧] .

هو آمن من الضلال أن تتشعبه الشبهات وأن يصير على الباطل آمن من هذا فلا يضل ولا يشقى لا في الدنيا ولا في الآخرة بإذن الله؛ فإن السعادة في طاعة الله، وإن أوذي وإن ابتلي وإن حصل له ما حصل فهو ليس بشقي، بل هو سعيد.

السعادة كل السعادة أن تكون على طاعة الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧].

ألا نعلم أن ممن عمل صالحًا من شرد ومن سجن ومن ابتلي بالأمراض والأسقام ومن ابتلي بالمصائب والفتن من قبيل أهل السوء، كل ذلك معلوم في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وكما قال النبي ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**».

و مع هذا كله فقد وعده الله أنه يحيا حياة طيبة، وقد يقول قائل: كيف هذه الحياة الطيبة التي يعيشها المؤمن وقد تختلجه مصائب وكذا وتعترضه وتكدر حياته وتعترض دعوته؟

فالجواب: أن كل هذا لا يعتبر بحقه إلا نعمه كما أخبر الله سبحانه، ولا يعتبر في حقه إلا سعادة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧] .

وكما قال النبي ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**».

فعلم من ذلك أن المؤمن يحيا حياة طيبة على ما حصل له؛ فالمصائب خير له ويكفر بها من سيئاته، لكن المصيبة والمهلكة أن يكون في هذه الحياة معرضًا وليس مستقيمًا فيشقى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ

فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ * وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه:١٢٣-١٢٧] .

وانظر إلى أصحاب التمرد عن طاعة الله أرادوا السعادة عن طريق الدنيا فما تحصلوها .. أرادوا السعادة عن طريق المنكر فما حصل لهم .. أرادوا السعادة عن طريق الجاه فما وجدوه .. أرادوا السعادة عن طرق شتى فما وجدوها مع بذل الاحتيالات والمكر وبذل كل ما يستطيعون من هذه الدنيا.

وأنت تعرف أن طريق السعادة هو في طاعة الله والاستجابة للحق وعدم الإعراض.

إن الإعراض خطير يا عباد الله! قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ * فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً * كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ * كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر:٣٨-٥٦].

فأي باطل يحصل يكونون فيه ويكونون في حمئته، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾.

كل هذه الأمور والأضرار حصل لهم بما حصل من أعمالهم بسبب أنهم أعرضوا عن التذكرة.

والله! لو أن الناس نصحوا لأنفسهم لقبلوا التذكرة بالحق وذكر الحق، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:٦٦-٦٨].

فوائد عظيمة يستفيدها الإنسان إن سلمه الله من الإعراض عن الحق، يستفيد الأجر العظيم ويستفيد الهداية ويستفيد أن ذلك خيرًا له، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد:٢١].

لو أنهم صدقوا الله واستجابوا وأعرضوا عن مطامع الدنيا وزخرف الدنيا وعن متاع الدنيا وهكذا أيضًا أعرضوا عن شبهات الكفار وشهوات الكفار ودعوات الكفار لكان خيرًا لهم ولهداهم الله ولدافع الله عنهم ولكانوا أيضًا في حماية الله سبحانه وتعالى، قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه،**

ولئن أستعاذني لأعيذنه..» الحديث رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فما بينك وبين الخير إلا أن تعبد الله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة:١٨٦] .

تيسرك لكل خير بسبب استجابتك لربك؛ فالإنسان لا تراه موفقًا مسددًا إلا بقدر استجابته لله تعالى، كلما أقبل الإنسان على الله أقبل الله عليه بالتسديد والتوفيق والرزق والإعانة لكل خير.

روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«من تقرب إليّ شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب إليّ ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»**.

لو أن الناس استجابوا لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكانوا في هداية وفي أمن وفي سعادة . حسبنا الله ونعم الوكيل.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن المسلم الخائف من الله يخاف أن ينادى بفضيحة لا أكبر منها في ذلك الجميع العظيم، وأصحاب الإعراض يفضحون ويندمون ويتحسرون، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص:٦٥-٦٦].

فقد أثنى الله على أهل الاستجابة وأبان استجابتهم واثنى عليهم حتى من الجن قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۞ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣١].

أي: ما هناك أضل من المعرضين.

ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿الٓمٓ * تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [السجدة:١-٣].

والله تعالى قد حذر من الإعراض ورغب في الاستجابة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ * وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ * وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ [القمر:١-٣].

فهؤلاء الذين أعرضوا هم المشركون تأتيهم الآيات ولكن كما يقول ربنا: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

اسمع يا أخي أسمع لآيات الله وأذعن ولا يمكن أن يستفيد إلا من سمع بقلب حي وبفهم قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦].

كل الناس يسمعون لكن بعضهم يسمع ما يريد ويترك ما يريد ربما يسمع الباطل ولا يسمع الحق وربما يسمع الحق ولا يصل إلى قلبه فهذا يخشى أن يكون من الإعراض، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ * وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢١-٢٣].

فهم ما سمعوا الحق، وهؤلاء شر الدواب ابتلاهم الله عز وجل بالإعراض وابتلاهم الله كذلك بأمور كثيرة، وكذلك المنافقين قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون:٥] .

فالإعراض عن الحق من شأن الكفار ومن شأن المنافقين، أما ألإعراض عن الجاهلين وعن الفتن فهذا واجب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص:٥٥].

وقال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١].

الإعراض سببه العتو والإعراض سببه الكبر، وكل ذلك سبب لهم مذلات كثيرة.

احذر على نفسك الإعراض؛ فإنه خطر عظيم، وإن الله قد أهان الذين يعرضون، ومن أعرض أعرض الله عنه والله غني عن جميع عباده.

ففي الصحيحين من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه: «**أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان**

إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجةً في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه».

وقال النبي ﷺ عن ربه عز وجل: «**يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»

وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [البقرة:٥٧] .

إن الذي يعرض عن الحق سواء كان من الانتخابيين أو كانوا من الحزبيين أو كانوا من غيرهم ممن أعرض عن الحق يخشى عليهم من غضب الله سبحانه وتعالى، ويخشى عليه من أن تطمس بصيرته؛ للأدلة التي تقدم ذكرها.

فيا معشر المسلمين: الاستجابة.. الاستجابة.. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾[الأنفال:٢٤].

ووالله! لا يصلح آخر هذه الآمة إلا بما صلح به أولها من البعد عن تقليد الكفار ومن البعد عن الفتن وعدم الاستشراف لها والبعد عن البدع وعن الحزبيات وعن الخرافات وعن التطلع للدنيا على حساب الدين، هذا

إذا وفق له العبد فهو على خير وإذا قد بلغت السبعين فقد عمرت أو المائة فقد عمرت قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا * مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا * يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ [طه:٩٩-١٠٤].

كأن هذا الحوس والدوس في هذه الدنيا كل هذا ما كأنه إلا قدر ساعة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات:٤٢-٤٦].

فشو المنكرات فساد للحياة

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤].

ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة:٥].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس:٢٧].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩].

هذه الآيات فيها وعيد من الله سبحانه وتعالى لمن تعدى حدود الله، وإن من يقرأ كتاب الله سبحانه وتعالى بتدبر، ويقرأ سنة نبيه ﷺ بتمعن

يرى أن فشو المنكرات فساد للحياة، وقد ثبت من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**أقبل علينا رسول الله** ﷺ **فقال: يا معشر المهاجرين! خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المئونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**».

إن المتأمل في هذا الحديث العظيم الثابت عن النبي ﷺ يرى مصداق ما قاله ﷺ.

وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

فبسبب فشو المنكرات والتمالؤ عليها ابتلوا بالأوجاع والأمراض المستعصية.

حصل التطفيف في الكيل والميزان، والتلاعب بالأمانة، فابتلوا بسبب ذلك أخذوا بالسنين، وانتزعت من بينهم البركات، قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦].

نزعت بركات المطاعم والمشارب، والعلم، وبركات الثروة، وبركات كثير من أمور الحياة.

فشو المنكرات فساد للحياة، إي والله! إنها لا تفسد حياة الكافر فقط، بل تفسد حياة الصالحين وحياة البهائم، وحياة الذر والدود تفسد بفساد الحياة وفشو المنكرات، ففي الصحيحين من حديث أبي قتادة رضي الله عنه: «**أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة فقال: مستريح ومستراح منه، قالوا: يا رسول الله! ما المستريح والمستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله**». قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:٤]، قال: «**والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب**».

وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده! لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم**».

إن فشو المنكرات فساد في القلوب، ففي صحيح مسلم رحمه الله من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على**

قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه».

فبهذه الفتن كلها وبإقرار المنكر وبالرضا بالمنكر تتغير القلوب، وتتغير المفاهيم، وتتقلب الحقائق، وتفسد الحياة، وتفشو المنكرات، وعدم إنكارها يعم الصالح والطالح، ويصعد الفتن في الدنيا، ويسبب الهلاك، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**دعوني ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**».

الاختلاف على الأنبياء هلكة ففي الصحيحين أيضًا من حديث عمرو بن عوف رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**والله! ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**».

فالتنافس في الدنيا وعدم إنكار المنكر سبب الهلكة التي لا يعرفها إلا من يعقل الأمور ويدركها ممن أثنى الله سبحانه وتعالى عليه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣].

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله**».

وثبت عند البخاري وغيره من حديث أبي مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**».

ومعنى يستحلون الحر: يحلون المحرمات، هذه أمور محرمة يستحلونها، وربما سموها بغير اسمها؛ تلاعبًا وتحايلًا على شرع الله، قال: «**ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم -يعني: الفقير- لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غدًا، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردةً وخنازير إلى يوم القيامة**».

عذاب في الحياة قبل الأخرى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۞ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف:١٦٣-١٦٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠].

لعنوا فكانوا شر البرية، ومسخوا قردة وخنازير؛ بسبب إقرار المنكرات فيهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ❁ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

فشو المنكرات فيه ضرر عظيم سواء كانت هذه المنكرات من الربا؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٩].

أو كان مثل هذه الفنادق التي يزاول فيها الزنا، ويشرب فيها الخمر هي -والله- من أسباب الهلكة.

أو كان من تصوير ذوات الأرواح، والنبي ﷺ يقول: «**لعن الله المصورين**»، وقال النبي ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة**»، فكونها تحل في بيتك الشياطين فساد كبير يحصل لحياة الشخص من ذلك.

وهكذا الأغاني والمراقص والاختلاط في الجامعات وفي المدارس هي من أسباب الهلاك، فيجب على كل مسلم أن يتقي الله في نفسه، وليعلم أن البلاء يعم، ولا يقتصر فساده على حياة المفسد كما جاء من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها: «**أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب! فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: نعم، إذا كثر الخبث**».

وفي الصحيح من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ قال: «**يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم، قالت: قلت: يا رسول الله! كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم**».

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ١-٥].

تمالئوا على هدم شعيرة من شعائر الله وبيت من بيوت الله؛ فسلط الله عليهم طيرًا من الطيور ترميهم حتى جعلتهم كالعصف المأكول أي: مثل ورق الزرع اليابس، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا * فَقَالَ

لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ۞ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴾ [الشمس:١٢-١٥].

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم؛ لا يصيبكم ما أصابهم**».

فهذه عبرة لمن اعتبر، وذكرى لمن تذكر، قوم صالح ثمود، كيف فسدت حياتهم بسبب تلك المعصية المذكورة في سورة الشمس، وهكذا كل من تفشوا بينهم المنكرات يهلكهم الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ [العنكبوت:٣٨]

أي: ما كانوا على جهل، بل بصرهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴾ [العنكبوت:٣٩].

ما كانوا ليفتئتوا على الله، ولا ليسخطوا الله، وما كانوا سابقين، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٠].



عاقبهم الله بذنوبهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:٦-١٤].

قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرمه الله عليه**»، وقال: «**إن الله حد حدودًا فلا تعتدوها، وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وترك أشياء من غير نسيان من ربكم ولكن رحمة منه لكم، فلاتبحثوا عنها**».

إن فشو المنكرات لهو سبب للعنة الله، فقد ثبت في صحيح مسلم من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «**لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير تخوم الأرض**» يعني: المنار.

كل هؤلاء الأربعة لعنهم الله؛ بسبب المنكر الذي يقترفونه من الذبح لغير الله سواء كان ذلك الذبح عن طريق ما يسمى بالهجر في البلاد اليمنية، أو عن طريق الذبح للقبور، أو عن طريق الذبح للأشجار والأحجار.. إلى غير ذلك مما أهل له لغير الله فإنه منكر يفسد الحياة الدنيوية والأخروية؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢].

وهكذا مما يتعاطونه من تغيير منار الأرض وهي علامات الحدود بين المتجاورين من أصحاب الأراضي، وهذا حاصل بين الناس وهو سبب

للعنة الله سبحانه وتعالى، وسبب لتغيير الحياة، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٥٣].

فاحذروا -معشر المسلمين- جرأتكم على المعاصي والمنكرات وسكوتكم عن المنكرات، فإن الساكت عن المنكر مشارك في ذلك المنكر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧].

فمن سكت عن المنكر وهو قادر على تغييره فهو آثم، فأي مسلم يرى منكرًا فليغير ذلك بقدر ما يستطيع، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

فالفلاح مقرون بزحزحة المنكرات وعدم تفشيها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٠].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

فساد في البر والبحر، لا تجد مكانًا في السفن والمكاتب إلا وتجد الفساد ظاهرًا سواء كان ذلك الفساد في عدم البركات، أو قلة الأمطار، أو غير ذلك مما يذيق الله به العباد بعضهم بأس بعض.

والمقصود من الفساد هنا: فساد الحياة، فساد المعايش، قلة البركات، وكثرة الأمراض والأسقام، فساد الأخلاق، ضياع الأوقات.. وغير ذلك.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

كيف لو يؤاخذنا الله بما نعمل؟ قال الله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [فاطر:٤٥]، إن الله لا يغفل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم:٤٢-٤٣].

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرا طيبًا مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله العالم بما يكنه العبد ويخفيه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله شفيع العباد في يوم لا ريب فيه.

أما بعد:

فإن فشو المنكرات تنغص الحياة، وصاحب المنكر نفسه هو الذي يعاني من ذلك المنكر بسبب فسوقه، فالذي يرى التبرج ويرضى به يقع في نسائه، والذي يرضى بتطفيف الكيل هو نفسه سيطفف عليه الكيل، وما من منكر يعمله إنسان إلا كان الضرر يعود عليه هو في الدنيا قبل الآخرة، فكان على المسلمين التعاون على البر والتقوى وإزالة أو تقليل سبب الهلاك والبلوى، قال سبحانه وتعالى يقول: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩]، ويقول: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [التوبة:٧١].

هذه صفات المؤمنين، كل امؤمن متصف بها، وليست هي صفات واحد دون آخر، قال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١].

فمن كان طامعًا في رحمة الله وملتمسًا لمرضاة الله سبحانه وتعالى فليلتزم بهذه الصفات، ومن أعظمها ما أرسل الله به الرسل وأنزل الله به الكتب وهو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله سبحانه وتعالى ـ مبينًا تغيير إبراهيم ﷺ ذلك المنكر ـ على لسان إبراهيم: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:٦٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس:٧١].

وقال الله: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦].

قال جرير رضي الله عنه: «**بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم**» متفق عليه.

هذا هي تربية رسول الله ﷺ، بل إنه ﷺ جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الدين فقال: «**الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

وقال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم**

بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل».

وبه تكتسب الحسنات الكثيرة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته، فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة**». وفي حديث أبي ذر عند الإمام مسلم نحوه.

ومن تحلى بذلك فليلتزم الصبر فمن المستحيل أن تكون آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر ولا تؤذى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

وقال جل وعلا: ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

قال سبحانه عن لقمان: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٧-١٩]..

ويقول تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

والحمد الله رب العالمين.

المخارج من الفتن

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ففي هذه الآيات أنواع من المنن من الله سبحانه وتعالى على عباده، وحق عظيم من الله سبحانه وتعالى على عباده أن يستجيبوا له، وأن الاستجابة لله ولرسوله وقاية من المحن؛ فالفتن إذا دخلت القلب فسد، ويصير قلبًا مفتونًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا.

ومن المخارج منها عدم الاستشراف لها.

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو معاذًا فليعذ به**».

هذا إرشاد نبوي أن من استشرف للفتنة هلك، وأن من اعتزل الفتنة سلمه الله منها، ووالله للموت خير من أن يفتن الإنسان في دينه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ

عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۞ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ۞ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء:٧٣-٧٥].

وثبت عند أحمد من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**اثنتان يكرههما ابن آدم، وهما خير له؛ يكره قلة المال، وقلة المال أقل عند الحساب، ويكره الموت، والموت خير له من الفتنة**».

ومن صحيح الأدعية التي علمنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول المسلم: «**وإذا أردت بعبادك فتنةً، فاقبضني إليك غير مفتون**».

فالفتنة قد تكون في الشرك بالله سبحانه وتعالى، وقد تكون بالبدعة، وقد تكون بالمعصية، وقد تكون بضيق الصدور، وقد تكون بالابتلاءات، وقد تكون بأنواع أخر، ولا شك أنه لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**والذي نفسي بيده! لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء**».

فمالك فتنة لك، وولدك فتنة لك، وزوجتك فتنة لك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن:١٤].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن:١٥].

وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

فيجب على المسلم أن يكون بعيدًا عن الفتن، بعيدًا عما يضر بدينه، بعيدًا عما يضيق صدره، وحينئذ يكون سعيدًا .

إن السعيد لمن جنبه الله فتنة المحيا والممات، والله ليرزقنه الله، ويرجو ثواب الله بعيدًا عن المعاصي، فقد ثبت عند أبي داود من حديث المقداد رضي الله عنه قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواهًا!**».

معنى ذلك: أن من يصبر على البلوى يكون تجنب الفتن، وكان له بذلك مخرج منها.

وفي الصحيحين من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها: «**أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل عليها فزعًا يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب! فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث**».

ومن ذلك ما جاء من حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ليلةً فقال «**سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتنة؟ ماذا أنزل من الخزائن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**» متفق عليه.

فأبان رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن القيام بطاعة الله مخرج من الفتنة، وما أعظم العبادة حين أن يفتن الناس.

فكن مقبلًا على عبادة الله سبحانه وتعالى، فإن ذلك كهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**العبادة في الهرج كالهجرة إليَّ**»والهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعظمها من هجرة!

فلا ينبغي لمسلم أن يفرط في العبادة في أي وقت من الأوقات، ولكنها في أوقات الفتن تكون العبادة أعظم أجرًا، وقد ثبت من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**».

وجاء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن**».

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣].

ومن المخارج: القناعة عن الدنيا.

فقد روى الترمذي في جامعه من حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**».

فكثير من الناس أتاهم الفساد من هذين البابين: من باب الحرص على الشرف والمال.

أيها الناس: إن أتباع الفتنة هم أصحاب مرض القلوب وريبها.

ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**تلا رسول الله ﷺ هذه الآية**: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]، **قالت: قال رسول الله ﷺ: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**».

فيجب الحذر من دعاة أهل البدع والخرافات.

ومن أعظم المخارج من الفتن ما دل عليه حديث: حديث العرباض بن سارية قال: «**وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟! قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**».

ومن المخارج البعد عن تقليد الكفار، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥].

ومن المخارج: العفو والصفح، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:١٠٩].

ومن المخارج: التمسك بسنة رسوله ﷺ. وكذا الدعاء، فكم من كربة يفرجها الله بالدعاء؟

وكم من فتنة يبعدها بسبب الدعاء!

كم من خزي يبعده بسبب الدعاء!

كم من ظالم يكبته الله بالدعاء!

وكم من مسلم يدفع الله عنه بالدعاء شرًّا كثيرًا!

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧-٨٨].

فإن أعظم مخرج من كل مصيبة وبلية هو اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والتوبة والاستقامة والتوكل على الله سبحانه وتعالى .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخرج عظيم من الفتن؛ فقد روى البخاري في صحيحه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**».

ولنا في قصة أصحاب السبت عبرة قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ * وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ

قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۞ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [الأعراف:١٦٣-١٦٦].

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فمن أعظم المخارج من الفتن: تقوى الله تعالى والتوكل عليه؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٢-٣]وهذه الآية عامة.

فيجعل الله عز وجل مخرجًا من الفقر، ومخرجًا من الفتنة، ومخرجًا من العذاب، ومخرجًا من كل ما يؤذيك، ما دامت متقيًا لله، يقول الله سبحانه

وتعالى لمن اتقى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

فيجب على كل مسلم أن يتقي الفتن سواء كانت فتنة مال أو جاه أو قبيلة أو عشيرة أو قرابة أو غير ذلك؛ فإنه لا أحد يستطيع أن ينقذك من بأس الله ومن بطش الله ومن عقاب الله سبحانه وتعالى، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.

وثبت عند الإمام الترمذي في جامعه من حديث كعب بن عياض قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن لكل أمة فتنةً وفتنة أمتي المال**».

فكثير من الناس يفتن بسبب شيء قليل من المال.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا؛ يبيع دينه بعرض من الدنيا**».

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أهمية التراحم بين المسلمين

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله سبحانه قد أراد وقدر أن يضرب العباد بعضهم ببعض قال الله سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠].

وإن الله عز وجل قد خلقنا للابتلاء؛ ليحصل من صبر على ذلك على الأجور الكثيرة والمثوبات الجزيلة، ومما ابتلانا الله في هذا الحياة الدنيا مشاقها ومتاعبها ومخالطة المؤمنين للمسيئين وغير المسيئين لهو رحمة إن وفقهم الله سبحانه وتعالى على التحلي بتلك الرحمة التي وصف بها رسول الله ﷺ، قال الله عز وجل عنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

ووصف الله بها المؤمنين فقال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر:٩].

بل اتصف بها سبحانه، قال الله سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

فأخبر الله أنه رحيم، وفي أول سورة في القرآن قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:٢-٣].

وقد جعل الرحمة مائة جزء، فواحد أنزله بين العباد، وادخر تسعة وتسعين جزءًا يرحم بها عباده يوم القيامة، فمن صفاته عز وجل أنه رحيم ومن صفات الأنبياء كذلك أنهم رحماء، ومن صفات المؤمنين أنهم رحماء، والجفاء لا يأتي بخير، إنما الجفاء من الشيطان كما قال رسول الله ﷺ: «**الجفاء من الكفر، والكفر في النار**».

أيها الناس: ثبت في الصحيحين من حديث عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: «**هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن**

أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا».

هذه رحمة قابل بها رسول الله ﷺ الجفاء الذي حصل له ﷺ من المشركين، ولما قام أبو الحباب رئيس المنافقين فقال: «**إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك! فما كان من رسول الله ﷺ أن يرفع يديه، ولكنه ذهب يشكو على سعد بن عبادة فقال له: أي سعد! ألم تسمع ما قال أبو حباب ـ يريد عبد الله بن أبي ـ؟ قال سعد: يا رسول الله! اعف عنه، واصفح، فأنزل الله: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾** [البقرة:١٠٩]».

إن الرحمة التي جعلها الله في قلوب الأنبياء هي التي جعلت له تلك المكرمة، ففي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد قال: «**كنا عند النبي ﷺ إذ جاءه رسول إحدى بناته يدعوه إلى ابنها في الموت فقال النبي ﷺ : ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب، فأعادت الرسول أنها قد أقسمت لتأتينها، فقام النبي ﷺ وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل، فدفع الصبي إليه ونفسه تقعقع، ففاضت عيناه، فقال له سعد: يا رسول الله! ما هذا؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**».

ولما مات إبراهيم بكى رسول الله ﷺ، قالوا: وأنت يا رسول الله؟! فقال ﷺ : «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون**».

وجاء الصحيحين من حديث النعمان بن بشير: «**أن رسول الله ﷺ كان يضع أسامة على فخذ، ويضع الحسن على فخذ، ويضمهما ويقول: اللهم أرحمهما فإني أرحمهما**» بيان أن الرحمة لا يستنكف عنها المؤمن، قال رسول الله ﷺ : «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

هذه الصفات إنما تكون في حق المؤمنين؛ بسبب أنهم رحماء في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، ولو عمت هذه الصفات لوجد خير في المسلمين من عطف ومن رحمة ومن مودة، روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسًا فقال الأقرع: إن لي عشرةً من الولد ما قبلت منهم أحدًا! فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: من لا يرحم لا يرحم**».

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقالوا: نعم، فقالوا: لكنا والله ما نقبل، فقال رسول الله ﷺ : أوأملك إن كان الله نزع منكم الرحمة**».

وثبت عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقي**»، وروى الشيخان من حديث جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل**».

وهكذا جاء عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : «**الراحمون يرحمهم الرحمن**».

وثبت في صحيح مسلم عن هشام بن حكيم بن حزام: «**أنه مر بالشام على أناس وقد أقيموا في الشمس وصب على رءوسهم الزيت، فقال: ما هذا؟ قيل: يعذبون في الخراج، فقال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا**» فخلى الأمير سبيلهم.

فمن أراد أن يرحمه الله فليكن راحمًا لخلق الله، راحمًا لذلك العاصي في معصيته وفسقه، ويتمنى أن يعود ويتوب إلى الله، فيندم على ما فات بدون تنازل عن كتاب الله ولا عن سنة رسول الله ﷺ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۞ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:٢١-٢٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر:٨].

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٨-١١٩]. إرادة كونية لا شرعية.

إذا كانت الرحمة تنبعث من صميم قلبك على كل من عنده مخالفة لشرع الله فإنه يحملك على بذل وسعك في نشر العلم والتعليم، وهذا يحملك على بذل وسعك في الإنفاق والإحسان، وهذا يحملك على أن تخالق الناس بالخلق الحسن، وهذا يحملك على إكرام الجيران، وهذا يحملك على احترام المسلمين وتوجيههم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

وهكذا ينفع الناس الذين ما فقهوا كتاب الله وسنة رسوله، فمنهم من يقع في الشرك بالله سبحانه وتعالى، ومنهم من يقع في البدع والضلالات من أمور الدنيا وغيرها، ومنهم من يقع في المعاصي والربا وترك الصلوات وغير ذلك، يجب على كل من عنده من هذه المعاصي أن يتوب منها، وليس المعنى أنك ترحمهم وتقرهم على ما هم عليه؛ فالمؤمن في هذا الأمر له حالتان: -

* الحالة الأولى: أن تشفق عليهم، وترحمهم، وتدعوهم كما كان النبي ﷺ يدعو أولئك الناس ويقول: «**إني لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله**».

* الحالة الثانية: ما كان فيه من المخالفات الظاهرة لكتاب الله وسنة رسوله فلا تحملك عاطفة، ولا يحملك شيء على إهمال نصحهم، فقل للساحر: ساحر، وللكاذب: كاذب، وللمبتدع: مبتدع، وللخائن: خائن، الدين النصيحة، وإذا مرض عضو واستشرى على سائر الأعضاء بادر بعض الأطباء الحكماء بقطع ذلك العضو؛ حتى لا يسبب الأمراض، وحتى لا تتلف بقية الأجزاء، وليس من الرحمة السكوت عن الغش والخداع والخيانة، فلا ينبغي لإنسان أن يحمله العطف على الدفاع عن الباطل والدفاع عن المنكرات تحت ستار الرحمة والأخوة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

وفي الآية الأخرى يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥].

في الآية بعدها: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

اجتمعت ثلاث صفات ـ كفر، وظلم، وفسق ـ فيمن لم يحكم بما أنزل الله، فهنيئًا لمن عنده رحمة، وتلك الرحمة لا تحمله على بغي ولا تفريط، قال النبي ﷺ: **«يا أسامة! تشفع في حد من حدود الله؟! والله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإذا سرق عليهم الشريف تركوه»**.

ويؤتى بتلك الجهنية إلى رسول الله ﷺ فكان في غاية الرحمة بها حتى بعد أن رجمها من الزنا قال: «**لقد تابت توبةً لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبةً أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟**».

فهذه هي الرحمة التي يجعلها الله في قلوب من يشاء من عباده كما جاء الحديث، فمن الناس من لا تجد في قلبه رحمة يكون محرومًا، لا يرحم أحدًا ولا ينصح لأحد، هذا ليس عنده رحمة قاسٍ غليظ، وتحسب أنك تحسن صنعًا، إن لم تنصح لله ورسوله وللمسلمين، قال النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان**».

وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**».

الرحمة نعمة من الله، كتاب الله رحمة، سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٧-٥٨].

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره.

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى أعطى لذوي الرحمة خيرات حسان في جنات النعيم، والنبي ﷺ كان في غاية من الرحمة على العباد، وموجبات الرحمة لا يعلمها إلا الله، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي**».

وفيهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**قدم على النبي ﷺ سبي، فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها، إذ وجدت صبيا في السبي فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ : أترون هذه طارحةً ولدها في النار؟ قلنا: لا، فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها**».

وقد كان رسول الله ﷺ من رحمته بالناس لربما ترك بعض الأعمال؛ حتى لا تفرض علينا كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان النبي يعمل العمل وهو أحب إليه خشية أن يفرض، وكان يواصل، وكان ينهى عنه، فقالوا: يا رسول الله! إنك تواصل؟ قال: إني لست كهيئتكم؛ إني أبيت يطعمني ربي ويسقين**».

وجاءمن حديث أبي قتادة في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي؛ كراهية أن أشق على أمه**» يخفف الصلاة رحمة بأمه.

وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «**من عال جاريتين كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وأشار بأصبعيه**».. فهذا يكون قرين رسول الله ﷺ .

وجاء من حديث سهل قال: قال رسول الله ﷺ : «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئًا**».

وفي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**جاءتني امرأة تسأل معها بنتان، فأعطيتها تمرتين، فشقت واحدة بين ابنتيها وأخذت واحدة لتأكلها، فاستطعمتها بنتاها، فقال النبي ﷺ عندما أخبر: قد أوجب الله لها الجنة**»؛ بسبب تلك الرحمة التي حصلت منها لابنتيها .

وقال رسول الله ﷺ : «**الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر**».

فمن أجل تلك الرحمة للأرملة المسكينة الضعيفة كان في منزلة المجاهد في سبيل الله القائم بالطاعة، وهكذا الذي يحسن إلى اليتامى وإلى الصغار، قال رسول الله ﷺ : «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا**».

والرحمة بالحيوانات، ففي حديث ابن مسعود قال: «**كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرةً معها فرخان، فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها؟ ردوا ولدها إليها، ورأى قرية نمل قد حرقناها، فقال: من حرق هذه؟ قلنا: نحن، قال: إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار**» هذا الدين رحمة، وهذه السنة رحمة، والمسلم العامل بكتاب الله وسنة رسوله رحمة للمسلمين، ورحمة للدواب، يُحزن على موته، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه مر عليه بجنازة فقال: «**مستريح ومستراح منه، قالوا: يا رسول الله! ما المستريح والمستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب، وذلك مستريح من نصب الدنيا**».. والحمد لله رب العالمين.

البيان في فضائل القرآن

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٤-٤٥]. فقد أمر الله نبيه أن يذكر بالقرآن.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧].

فأخبر الله نبيه أن ينذر أم القرى -وهي مكة- ومن حولها ما هو آت بعد ذلك من الأهوال، وأمر سبحانه أن ينذر به فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:١-٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١].

فمن استدل به فقد أفلح، ومن تمسك به فقد عصم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:١٠٣]، فأمر الله عز وجل أن نعتصم بحبل الله وهو الإسلام، وهو القرآن.

وإن مما يندى له الجبين ما يلاحظ من قسوة القلوب وفرار النفوس وافتئات الأبدان عن كتاب الله وذكره، وإلهاء الألسنة عن طاعة الله وذكره، ألا وإن أعظم الذكر هو كتاب الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف:٤٤].

فهذا القرآن هو أعظم موعظة وعظ الله بها عباده، وهو أعظم رحمة من الله بها على عباده، فلا تكن يا هذا كالذين وصفهم الله عز وجل في كتابه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة:٧٨].

لا تكن مثل هؤلاء، (لا يعلمون الكتاب إلا أماني) أي: مجرد تلاوة، ولا يفقهونه.

إن خطرًا عظيمًا على الناس إن لا يفقهون كتاب الله، أو لا يتدبرونه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٩].

نزهك الله وشرف الله قدرك أن تكون في مستوى من ليس مكلفًا لا تتقبل كتاب الله ولا تفهمه، فإن الله سبحانه وتعالى أمرنا وحثنا على تدبر هذا القرآن والاستفادة منه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤].

فحث رب العالمين على تدبر هذا الكتاب .

أيها الناس: إنه لأمر عظيم والله أن نكون كما يقال:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

تقسو القلوب ويقع الناس في الهرج والمرج يتوالى عليهم بسبب المعاصي الدبور وعندهم كتاب الله، قال الله: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران:١٠١].

هذا إنكار من الله سبحانه وتعالى على مشركي قريش كيف يكفرون وعندهم كتاب الله، فهذا الكتاب عصمة، هذا الكتاب نور وهدى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩]، يهدي للتي هي أقوم، يهدي للأخلاق الحسنة، يهدي للإحكام الشرعية، يهدي للفقه الصحيح، يهدي للاعتصام، يهدي للتحابب والتآخي لله وفي الله، ومن أجله يهدي للمعتقد

الصحيح في توحيد الله سبحانه وتعالى، وفي إلوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فإن هذا القرآن يهدي هداية عرفها الجن كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٢]، هذا هو الأدب، فلا ترفع الأصوات على رسول الله قالوا: (أنصتوا).

يا لها من موعظة قدمها أولئك النفر من الجن إلى قومهم، ذكرها الله في كتابه الكريم! فواجب علينا أن نتواصى بها فقد قال النبي ﷺ: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله**».

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن:١-٢].

أين يذهب الناس من هذا القرآن؟ ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات:٥٠]، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٥١].

فمن لم ينتفع به فليس في هدى، وليس في نور، وليس في خير، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ * قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس:٥٧-٥٨].

هذا القرآن هدى وشفاء؛ يقول ربنا الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء:٨٢].

فالقرآن رحمة للمؤمنين، وهو خسارة على الظالمين، المحروم من حرم بالقرآن، والموفق من وفق بالقرآن، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**».

وأنت ترى -يا عبد الله- أن الله قد وضع بالقرآن اليهود والنصارى فوبخهم بإعراضهم عنه، ويضع بالقرآن الضلال وسائر من أعرض عن القرآن، فيقول في كتابه الكريم: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦].

وأنت ترى أن الله رفع بالقرآن من عمل به، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

فالهين من أهانه الله في كتابه، والعزيز من أعزه الله في كتابه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران:٢٦]، تعز من تشاء بطاعتك وتذل من تشاء بمعصيتك.

أيها الغافل عن ذكر الله: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٤].

نحن بحاجة إلى الخشوع لذكر الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ

ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر:٢٣].

وقال قبل ذلك: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر:٢٢].

هذا كتاب محفوظ بأمر الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

فعليك أن تجتهد لحفظه، وعليك بتدبره، وعليك أن تجتهد في العمل به، وإلا صار حجة عليك يوم القيامة، روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ : «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك -وهذا هو الشاهد- كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها**».

القرآن يكون شفيعًا لك يوم القيامة وحجة لك إن كنت عاملًا به، روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**».

يؤيد هذا الحديث حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما**».

القرآن حجة لك يوم القيامة إذا أنت عملت به، تدبرًا وتصديقًا فإنه في غاية التثبيت لأصحابه ولمن تمسك به، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:١٠٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ [الفرقان:٣٢] المشركون قالوا: لماذا لم ينزل دفعة؟ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾.

أي: نزلناه كذلك مفرقًا لتثبيتك على الحق، قال لله سبحانه وتعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾.

القرآن عبادة؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ * وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٧-٩٩].

وقد ثبت من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا: «**من حفظ ولده القرآن توج يوم القيامة والداه بتاج لا تقوم له الدنيا**» هذا التاج لا تتحصل عليه بأموال ولا تتحصل عليه بمناصب، وإنما تتحصل عليه إذا حفظ ولدك القرآن.

القرآن تطمئن به القلوب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن النبي ﷺ قد ضرب مثلًا عظيمًا لمن يحفظ القرآن وهو ماهر فيه فقال رسول الله ﷺ : «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**».

يقول النبي ﷺ : «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**».

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**» لا هذا ولا هذا.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها**».

أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، والسكينة تتنزل للقرآن كما في حديث البراء بن عازب قال: «**كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: تلك السكينة تنزلت بالقرآن**».

ما ألذ تلك الحياة، وما ألذ الإيمان حين يتلو الإنسان كتاب الله عز وجل بتدبر، وحين يقرأ كتاب الله عز وجل بيقين وإيمان وإخلاص لله سبحانه وتعالى! فهناك حينئذ يخشع قلبك هناك تخشع جوارحك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر:٤٥].

هنيئًا والله لمن تدبر كتاب الله وعمل به واستفاد منه، والويل كل الويل لمن قسى قلبه عن ذكر الله.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أولئك اليهود الذين قست قلوبهم فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٧٤].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا

مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر:٢١].

هذا القرآن لو نزل على جبل لتصدع من خشية الله، وقلوب العباد لا تكاد تخشع ولا تكاد تخاف من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [طه:١١٣].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ * بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص:١-٢].

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: «**سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية:** ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [الطور:٣٥-٣٧] **قال: كاد قلبي أن يطير**».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اقرأ علي، قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت:** ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء:٤١] **قال: أمسك، فالتفت فإذا عيناه تذرفان**».

هذا أثر التدبر، هذا أثر العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واستحضار ما يكون يوم القيامة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۞ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٤١-٤٢].

ونسأل الله التوفيق.

نعمة الأمن

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:٣].

ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مخبرًا عن نبيه موسى عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٢٠ ـ ٢١].

وما من نبي إلا ويذكر أمته نعمة الله عليهم، يذكرهم بنعمة الصحة ونعمة الأمن وكل ما فيهم من نعمة، وأخبر الله سبحانه وتعالى عن قوم ثمود أنهم كانوا في نعمة لم يعرفوها ولم يؤدوا شكرها وأهلكهم الله بكفران تلك النعمة، وجعل الله لهم ناقة فقال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء:١٥٥]، وقال: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[الأعراف:٧٣] فكفروا تلك النعمة: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس:١٤-١٥] .

إن الله يمتحن الناس بالنعم، قال ربنا الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧] وإن أعظم نعمة على المسلمين لهي نعمة الإسلام تصان به الأعراض، وتصان به الأموال ويصان به الجيران، ويعرف به المسلم لكل ذي حق حقه من الأقارب والأباعد والرجال والنساء والجن والإنس والحاكم والمحكوم، والدواب والحشرات وسائر المخلوقات، فقد ثبت من حديث ابن مسعود أنه قال: «**كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته فرأينا حمرةً معها فرخان، فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولدها؟ردوا ولدها إليها**».

وقال ﷺ: «**اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحةً وكلوها صالحةً**».

وجاء في الحديث: «**أن جملًا رأى النبي ﷺ فحن وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتًى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله! فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه**»هذا الدين دين الرحمة ودين الطمأنينة، ودين أمن وأمان.

إن من أعظم النعم على المسلمين هي نعمة الأمن التي أخبر الله سبحانه وتعالى بها في كتابه، وأن أول ما بنى به إبراهيم عليه الصلاة والسلام دعوته في بيت الله الحرام قبل أن يؤسس ذلك البيت بدأ بدعاء الله سبحانه وتعالى بالأمن على هذا البيت، فلا يكون إيمان بغير أمن لا تقام صلوات من غير أمن، ولا تقام تجارات الناس ولا تقام لهم معايش ومصالح بغير أمن، ولا دنيا، ولا أخرى بغير أمن، فمن غير أمن تفسد أسواقهم ومزارعهم، ومداخل الناس ومخارجهم وحياتهم وآخرتهم تدهور إن لم يحصل أمن، وبالأمن تكون الحياة طيبة وتحصل الطمأنينة وإقامة دين الله وشعائره لمن وفقه الله؛ لذلك قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦].

فاستجاب الله دعوة نبيه إبراهيم وأمن ذلك البيت، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ * فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦-٩٧].

وجعله آمنًا يفدون إليه وهم آمنون، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥] أمنه الله؛ لأنه مثابة للناس.

وقد امتن الله سبحانه وتعالى على قريش أنهم في أمن فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:١-٤].

فأبان الله أنه هو الذي جعلهم في أمان وغيرهم في خوف، امتن الله عليهم بذلك، وأمرهم بعبادته؛ فإن من أعظم أسباب الأمن هو توحيد الله سبحانه وتعالى وإقامة شعائره في الأرض، ومن أسباب الخوف هو الشرك بالله وسائر المعاصي، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:٢١١].

آتاهم الله آيات بينات فبدلوها عنادًا وكفرًا: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم:٢٨-٢٩].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾ [إبراهيم:٣٠].

فانظر كيف بدلوا نعمة الله، وعلموا أن الدين هو الحق ولكنهم ضلوا عن سبيله فعاقبهم الله كما في هذه الآية.

الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم حاثًا على هذه النعمة ومبينًا أن سببها طاعة الله وتوحيده: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:٥٣].

سداد الحال ونعمة الأمن خير من الدنيا وما فيها، فقد قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافًى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**».

إن هجرة الحبشة قامت على قلة الأمن، والهجرة إلى المدينة قامت على قلة الأمن؛ فإنهم ما كانوا في مكة يعبدون الله آمنين، والنبي ﷺ ما كان يرفع صوته بالقرآن عند قريش، بل كان عليه من الشروط ألا تجهر بالقرآن، وأبو بكر كان يرفع صوته بالقرآن فيبكي والصبية والنساء كانوا يستمعون لقراءة أبي بكر فأثر فيهم، فعندئذ تأذت قريش من ذلك، وقالوا: إما أن ترد

علينا جوارك، وإما أن ترد صاحبك؛ خوفًا على أبنائهم وأهلهم أن يتأثروا بالقرآن فيسلموا.. فالقرآن يؤثر في القلوب، قال جبير بن مطعم رضي الله عنه: «**سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية:** ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور:٣٥-٣٧] **قال: كاد قلبي أن يطير**».

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بايع الأنصار على أن يأمنوه على ما يؤمنون به أبناءهم وأهاليهم، ولهم جزاء ذلك الجنة.

ولما خرج موسى إلى مدين كان ذلك لأنه لم يتوفر له الأمن، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:٢٠-٢٣].

ولما جاء صاحب مدين أول ما بدأه به أن بشره بالأمان فقال له: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [القصص:٢٥].

وأعظم ما يتحقق به الأمن تحقيق التوحيد؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] فمن آمن بالله وحقق دين الله الحق وأقام شعائر الله فإن الله سيؤمنه، قال الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ [الحج:٣٨].

فيصير آمنًا في الصراط، وآمن عند الحوض، وآمن عند الميزان، وآمن من عذاب الله ما دام محقق لتوحيد الله عز وجل وشرعه، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

إن أمر تحقق الأمن في الأرض أمر واجب أن يسعى فيه كل مسلم، ومن لم يسع فيه فإنه خائن؛ فقد قال ﷺ: «**أهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلًا ولا مالًا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك..**» الحديث، فأي إنسان يراه الناس أمينًا فإنهم

يأمنونه على دينهم وأموالهم وأعراضهم قال رسول الله ﷺ: «**خيركم من يؤمن شره**» وقال: «**هل أنبئكم بخيركم من شركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره، وشركم من لا يؤمن شره ولا يرجى خيره**» هذا حديث صحيح عند الإمام الترمذي وغيره.

والنبي ﷺ قال: «**والله لا يؤمن! والله لا يؤمن! والله لا يؤمن! قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه**».

فالذي يسعى إلى زعزعة أمن المسلمين هم ضعفاء الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «**إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواهًا!**» أي: فواعجبًا له!

وقد ثبت في الصحيح: «**أن النبي ﷺ رأى عمرو بن لحي يجر أمعاءه في نار جهنم**» بسبب أنه أتى للعرب بالأصنام، فقد غير تلك النعمة عليهم، فكان في النار يجر أمعاءه ورآه النبي ﷺ على ذلك الحال.

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سن القتل**»، أي: سن هذا الرعب وأضعف الأمن.

كان في أمن فجعل بينهم ذلك الخوف، فحمل أوزارهم ابن آدم الأول، نعمة الأمن نعمة عظيمة، ومن سعى إلى زعزعتها، فإنه يتعرض لنقمة الله ويتعرض لدعاء الصالحين، فكل صالح يحب أن يكون في أمن، فقد ثبت في الصحيح: «**أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة فقال: مستريح ومستراح**

منه، قالوا: يا رسول الله! ما المستريح والمستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله»، المستراح منه هو الرجل الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب.

الأمن يقوم على طاعة الله عز وجل، وعلى إقامة شعائر الله، فقد ثبت من حديث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «**يا معشر المهاجرين! خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم**».

إن هذه الخمس المذكورة في هذا الحديث توافرها من أسباب توافر الأمن والأمان، وخلو تلك الخمس في بني آدم من أسباب شدة الخوف في الدنيا والآخرة؛ فهذه الأنواع من عذاب الله التي ذكرت في هذا الحديث كلها بسبب المعاصي، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٠].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

المسلم يسعى في الأمن له ولسائر المسلمين، أيحب أحدكم أن يبيت مروعًا مشردًا، خائفًا أَرِقًا ساهرًا؟! فأنت لا تحب هذا لنفسك فيجب ألا تحبه لغيرك من المسلمين، قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، متفق عليه عن أنس رضي الله عنه.

وقال رسول الله ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، وما ذلك إلا من باب أن يأمن المسلم شر المسلم.

إن مما يثبت الأمن أيضًا بين أوساط الناس هو إقامة شرع الله سبحانه، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: «**أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة، فقال: رسول الله ﷺ : أتشفع في حد من حدود الله؟! ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**»، فإقامة الحدود من أعظم أسباب الأمن.

ومن زعزع الأمن يستحق أشد أنواع الزجر؛ ففي حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما كائنًا من كان**»، وقد علم تنكيل رسول الله ﷺ بالعرنيين الذين قتلوا الراعي واستاقوا الذود بعد أن أمنهم رسول الله ﷺ وجعلهم يلحقون بإبل

الصدقة فيشربون من ألبانها وأبوالها، كما في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الخطبة الثانية:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من استشاره أخوه فأشار عليه بغير رشد فقد خانه**» فإذا كان من خان في مشورة فقط يعتبر خائنًا، فكيف بمن يخاف من أخيه المسلم من أكبر من هذا؟

فإن من الأمانة ومن الدين أن يأمر المسلمين بالسير بالحق والطاعة بالمعروف وإقامة الأدلة في موضعها وعدم الانقلابات وعدم التفجيرات، وعدم الثورات، وعدم القلقلة التي لا تحصل من رشيد، وهل جلب للذين في الأمم الماضية إلا الويلات والدبور كما ذكر الحافظ ابن كثير وغيرهما أن هذه الزعزعة بين المسلمين لم تجلب من ورائها إلا الويلات؛ لذلك ترى أهل السنة في مشارق الأرض ومغاربها وجنوب الأرض وشمالها، وفي سائر

الدنيا وهم يكبون على طاعة الله وعلى الطاعة لأولياء أمور المسلمين في المعروف وعلى التناصح والتواصي بالحق والصبر.

وهذه الفتن الحاصلة تعتبر من زعزعة الأمن والأمان، وعلى هذا فإن ما ترونه من محبة الناس لأهل السنة على ممر التاريخ وقرون بعد قرون وشدة الثقة بهم إنما هو بما يعملونه من الخير للقريب والبعيد، والصغير والكبير، والراعي والرعية، وإقامة شرع الله، وإقامة الحق بقدر ما يستطيعون، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بقدر ما يستطيعون بغير فتنة، فأهل السنة ليسوا دعاة فتن ولا دعاة انقلابات ولا دعاة ثورات ولا دعاة تميع وتحزبات وانتخابات وديمقراطيات، فلا يرضون بإفراط ولا تفريط، وإنما يقولون قال الله قال رسوله.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت:٥١].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣].

وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**».

إن طاعة الله والعمل الصالح يكون حفظًا للعبد ولذريته، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٨٢]، ووالله! لا فلاح في الدنيا والآخرة إلا بالاستقامة على دين الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

فبالاستقامة يتولاك الله وتتولاك ملائكته ويحفظك الله، ويحفظ عليك دينك، وقد كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم! إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم! إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي**».

فالأمن يوفر لك العمل الصالح، جاء رسول الله ﷺ وهم يتذاكرون الفقر فقال عليه الصلاة والسلام: «**والله! ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**».

فلا تخاف من الفقر ما دمت على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فأنت بأمان الله، أمن من الفقر ومن غيره، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق:٢-٣].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الحج:٤٩-٥٠].

فأنت موعود من الله سبحانه بأنك ترزق برزق كريم، وأنك تعيش في حياة طيبة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧].

دعوة أهل السنة تفسر القرآن الذي هو كلام الله سبحانه وتعالى، فهم يحفظون القرآن ويتلونه مرارًا وتكرارًا، والنبي ﷺ يقول: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**» وقال: «**أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه**».

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩].

ويهدي إلى الأخلاق الحسنة، والمعاملة الحسنة، والدعوة الحسنة، والسلوك الحسن، والمنهج الحسن، وسائر الحياة الطيبة، وإن دعوة أهل السنة أيضًا مع ما تقدم هي ممن يسعى في نشر دين الله مع الراعي ومع الرعية، والصغير والكبير، والتعامل في البيع وفي الشراء تعاملًا شرعيًا معتمدًا على الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال رسول الله

ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين**» أفمثل هذا يتنكر له مسلم أو مبتدع أو صوفي أو غير ذلك؟! لا شك أن من تنكر له أنه قد تنكر من دعوة الرسول ﷺ.

جاء رسول الله إلى قوم فيهم المنافقون وأراد أن ينشر عليهم ذلك الخير فقال بعض المنافقين: لا تغشنا بحمارك واذهب، فمن أتاك فعلمه، فشكى النبي ﷺ على سعد بن عبادة ما حصل له من هذاالمنافق فأنزل الله: ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٩] فصدق الله وحده، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧].

وأم سلمة رضي الله عنها عندما ذكرت قصة الهجرة قالت: «**فعشنا عند النجاشي نعبد الله على أحسن عيش..**» الحديث، فإن أحسن العيش يكون في الأمن.

وعمرو بن عبسة يقول حين قدم على النبي ﷺ: «**فأتيت عليه وهو مستخف جرءاء عليه قومه**».

الشاهد من هذا: أنه لا يسعى في زعزعة الأمن رجل صالح، ولا يسعى في زعزعة الأمن رجل تقي بر، وإنما يسعى فيه أهل البوار وأهل الفتن وأهل القلاقل، وليعلم أن أهل الأهواء دعاة إلى زعزعة الأمن، وما ابتدع

رجل بدعة إلا استحل السيف، كذا قال علماؤنا.. منهم: أبو قلابة وغيره من علماء السلف الذين يصدق عليهم قول الله تعالى.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣].

العلماء هم الذين يعقلون الأمور، وهم يقولون هذا القول بعلم وأدلة، ألا فإن كل مبتدع وإن كان مستخفًا وإن كان يتظاهر بالزهد؛ فإنه لا تؤمن بوائقه، لأنه على فجور ومعصية، فمن لا يكون صالحًا فيما بينه وبين الله فلن يكون صالحًا فيما بينه وبين الخلق.

ونسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه.

الاجتهاد في الطاعة

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله في كتابه الكريم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وذكر الله عز وجل في كتابه عن لقمان عليه السلام أنه أوصى ولده بوصية بليغة: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧].

ففي هذه الأدلة من كتاب الله عز وجل بيان من الله في الثناء على ثبات الأمور وعزمها.

أيها الناس: إن عزم الأمور في طاعة الله عز وجل من شأن المرسلين كما أخبر الله عز وجل، وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، وإذا أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل**».

وشاهدنا من الحديث: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك**».

فالتكاسل في الطاعات وعدم الجد في طاعة الله من عبادة وطلب للعلم.. وغير ذلك مما أمر الله به هو شأن المنافقين الذين يقول الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ * رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:٨٦-٨٧].

وقال لنبيه موسى عليه السلام: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۞ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٥-١٤٦].

وقال الله عز وجل لنبيه يحيى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم:١٢].

عبادَ الله: إن أمر في أمرالتساهل في دين الله عز وجل قد انتشرت كثيرًا بين أوساط الناس سواء كان في العبادات أو في توحيد الله عز وجل أو في سائر الدين، حيث ارتاح الناس وأقبلت قلوبهم واطمأنوا إلى من يرونه في هذا الشأن يلتمس لهم المعاذير ولو كان بباطل، يلتمس لهم التساهلات ولو كانت عن هوى، وإلا فرسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقول عنه عائشة: «**ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه**».

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [يونس:٣٥].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۞ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٧-٩٩].

الله يعلم أن نبيه يبتلى ويؤذى من قبل المشركين والمنافقين، لكن أمره بالثبات، ومواصلة العبادة.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٨].

انقطع إليه، وأقبل إليه، فإن الإنسان كلما تقرب إلى الله تقرب الله إليه، ثبت ذلك من حديث أنس كما في البخاري رحمة الله عليه أن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه الله عز وجل قال: «**من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**».

جبريل عليه الصلاة والسلام لما نزل بالوحي على محمد ﷺ من أول سورة (اقرأ) قال له: «**اقرأ. قال: ما أنا بقارئ**» أي: ما أحسن أن أقرأ القرآن، «**فقال له: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ. قال: فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم قال:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]».

عباد الله: إن هذا العلم وهذا الدين لا يصلح فيه الفتور والكسل الذي استعاذ منه رسول الله ﷺ، ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم! إني أعوذ بك من العجز، والكسل، وأعوذ بك من الجبن، والبخل، والهرم**». وكل هذه الأمور تفوِّت على المسلم خيرًا كثيرًا.

هذه أمور استعاذ منها رسول الله ﷺ، فالكسلان قد لا يستطيع أن يؤدي الواجبات فضلًا أنه يؤدي المندوبات، الكسل شأن المنافقين.

وهكذا الجبن يجعل الإنسان لا يقول كلمة الحق والبخل لا يستطيع إكرام الضيف ولا يستطيع أداء واجبات عليه ولا مندوبات، وكل هذه من مزعزعات الإنسان عن العزم ومبعدات الإنسان عن العزم الذي هو خير له في دينه، فالزم العزم في طاعة الله، قال الله: ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ [الأعراف:١٤٥].

فالله الله في العزم في طاعة الله عز وجل، وفي الجد في ذلك وفي عدم التساهل عن طاعة الله عز وجل، من طلب علم أو غيره من عبادة أو إقبال على التوبة أو إقلاع عن الذنوب وعدم التململ وعدم التساهل في ذلك، والله المستعان.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد:

فثبت في صحيح مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه: «**أن النبي ﷺ قام ليلة فافتتح البقرة، فقال حذيفة: يركع عند المائة، فمضى فقلت: يصلي بها، فمضى فقلت: يركع بها، فمضى قال: ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلًا؛ إذا مر بآية تسبيح سبح، وإذا مر بآية استغفار استغفر ..** » الحديث.

وشاهدنا منه: عزم رسول الله ﷺ على طاعة واجتهاده في ذلك.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «**صليت مع رسول الله ﷺ ليلة فأطال حتى هممت بأمر سوء، قيل: وما هممت به؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه**».

ويجوز له أن يجلس من ضعف عن القيام، لكن تأدبًا مع رسول الله ﷺ بقي واقفًا ولو على تعب .

وزيد بن ثابت رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنها تأتينا كتب من يهود لا ندري ما فيها**» فأمر زيدًا أن يتعلم السريانية لغة يهود، فتعلمها في خمسة عشر يومًا، فما مضت هذه المدة إلا وزيد بن ثابت يقرأ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كتب إليه، وإذا أراد أن يكتب إليهم كتب له.

وكما يقول ابن الوزير رحمة الله عليه: إن الدواعي تشد القوى، وإن القلوب ليست بسواء.

إن كثيرًا من الناس تسمع له جعجعة على المنابر وهو يقول: اليهود والنصارى آذونا؛ قالوا وفعلوا، وهذا كلام صحيح، مذكور في كتاب الله وسنة رسوله، لكن أين الثبات على الحق إن أعظم وأقوى ما يوقف به أمام أهل الباطل من يهود أو نصارى أو غيرهم لهو الثبات على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والتضلع والتمكن من علوم القرآن والسنة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

استيقظ يا غافل! فهكذا المبدأ الصحيح أمام أهل الباطل جميعًا، الجد والاجتهاد في طلب العلم والتمكن من ذلك، والثبات على ذلك، هذا أنس بن النضر غاب عن غزوة بدر قال: (غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ مع المشركين، لئن أشهدني الله مشهدًا آخر ليرين الله ما أصنع) وحقًا أنه أرى من نفسه خيرًا، وذهب إلى المشركين فلقيه سعد بن معاذ، فقال: ما استطعت ما صنع، وهجم على المشركين وقاتل المشركين حتى قتل، ووجد فيه أكثر من ثمانين ما بين رمية وطعنة، هذا هو العزم، وهذا هو الصدق مع الله سبحانه وتعالى.

ورجل يأتي إلى رسول الله ﷺ ويبايعه، ثم أراد أن يسلم فيبايع ثم بعد ذلك يجاهد، فلما جاءت الغنيمة قيل له: هذا نصيبك من الغيمة، فقال: ما على هذا بايعتك يا رسول الله! بايعتك على أن يدخل سهم من هاهنا ويخرج من هاهنا، وأشار، وإلى بعض المواضع من عنقه، فالتقى المسلمون مع الكفار، وأصيب بسهم في ذلك الموضع الذي أشار إليه، والنبي ﷺ لما أتي به ونظر إليه وفي الموضع الذي أشار قال: «**صدق الله، فصدقه الله**».

عبادَ الله: إن هذا الدين يحتاج إلى عزم وصدق وجهد، فإياكم والفتور والكسل في أخذ هذا الدين، وإياكم أيضًا ومجالسة المايعين، فمجالسة المايعين لا خير فيها، مجالسة الفساق لا خير فيها، مجالسة المذبذبين لا خير فيها، فاحذروا هذا كله، فوالله لمجالسة سني سلفي ثبت خير لك من مجالسة ألف من المذبذبين، فإن هؤلاء لا يزيدونك إلا خبالًا، قال الله

سبحانه وتعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة:٤٧-٤٨].

من فوائد التوحيد

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ❁ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١].

ففي هذه الآيات بيان من الله لأحكام عظيمة يقوم الإسلام عليها، تلك الأوامر عبادة الله وحده لا شريك له باللسان وبالقلب وبالجوارح وبالحال وبالمقال، وهل خلق الله عباده إلا لذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٧].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

وثبت من حديث الحارث الأشعري عند الإمام أحمد وغيره أن النبي ﷺ قال: «**إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يبلغهن قومه ليعملوا بهن.. أولاها: أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيئاً**» وهذا الحديث قد شرحه عدد من العلماء منهم ابن القيم لما فيه من فوائد كثيرة.

وأهل العلم يقولون: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه، لكن أمر الله بالعبادة أول ما ينصب على توحيد الله تعالى، وكل ما جاء في الكتاب والسنة من الأمر بعبادة الله فهو أمر بتوحيد الله، ولا يدخل المرء في الإسلام إلا بتوحيد الله، يقول الله سبحانه وتعالى لنبيه: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

كلمة التوحيد التي تجتمع عليها القلوب، وهي التي تعصم الدم والمال، وهي التي تعصم الأعراض إلا بدليل شرعي يخرج ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا

ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

كلمة التوحيد كلمة جامعة، وهي كلمة الله العلياء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٤٠].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العلياء فهو في سبيل الله**» .

فتحقيق توحيد الله أمر مطلوب في الصغير والكبير والذكر والأنثى والجن والإنس، وأن لا يغفل عن ذلك فترة من الفترات ولا وقت من الأوقات تعليمًا وعلمًا ودعوة وعملًا، فإن الغفلة عن توحيد الله خطأ، وأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام ما من نبي إلا ومرتكز دعوته على توحيد الله مع الحث على القيم والأخلاق الحميدة، و على سائر ما يحبه الله ويرضاه، وما بعث الله رسولًا ولا نبيًا إلا كان آمرًا له بهذا الأمر، المهم أن يعمل به وأن يأمر قومه يعملوا به، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأحقاف:٢١].

ما أجل توحيد الله -يا عباد الله- وما أعظم تحقيق ذلك في حياة الإنسان، إنها دعوة تنقذ الإنسان من النار، من كان على التوحيد فهو -إن شاء الله -ناج من النار، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢].

فالموحدون لله هم مهتدون، والموحدون لله الذين يموتون على ذلك، آمنون من عذاب الله، إذا كمل توحيدهم ولم يلتبس بظلم، والظلم هنا: الشرك بالله، إذا كمل التوحيد أزاح وأبعد الله صاحبه عن جميع المعاصي؛ لأن الموحدين يعظمون الله ويعظمون شعائر الله، ويعظمون دين الله ويعظمون المؤمنين المستعصمين بذلك؛ فلذلك تجد أحدهم متحليًا بسائر الخيرات والمحامد لما فتح الله عليه به من تحقيق توحيد الله، فلا ترى مؤمنًا حقق التوحيد إلا وتراه معظمًا لشعائر الله، إلا وتراه مبتعدًا عن منهيات الله، إلا وتراه مؤديًا لواجبات الله، إلا وتراه آمرًا وناهيًا كما أمره الله، قال الله

سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

هو آمن وهو مهتد يهديه الله بسبب توحيده، فنحن بحاجة إلىٰ تحقيق التوحيد؛ حتىٰ يهدينا الله لأحسن الأقوال والأعمال والأفعال والحركات والسكنات، كل ذلك ثمرة لتوحيد الله سبحانه وتعالىٰ بالقول والفعل والعمل.

فاستمسك بتوحيد الله بالعروة الوثقىٰ، وهي كلمة التوحيد كما في التفاسير، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٦].

معشر المسلمين: إن الخير كل الخير في تحقيق كلمة التوحيد؛ لأنها أول واجب، وآخر واجب يجب علىٰ المكلف، لما بعث النبي ﷺ معاذًا إلىٰ اليمن قال: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فأول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله -و في رواية: أن يقولوا: لا إله إلا الله- فإن هم أطاعوا لذلك فأخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوا لذلك،**

فأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبينها حجاب».

وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»، وكلمة (على ما كان من العمل) لها معنيان: المعنى الأول: أدخله الله الجنة على قدر عمله إن كان عمله عظيمًا كان في الدرجات العلى، وإن كان عمله يسيرًا أدخله الله الجنة على قدر عمله.

والمعنى الثاني: أنه أدخله الله الجنة على إي عمل منه، ولو مات مصرًّا على بعض الذنوب ما لم يكن مشركًا بالله، فإذا مات على تحقيق توحيد الله دخل الجنة، وهذا المعنى أقرب؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة يومًا من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه**».

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «**يا رسول الله! من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه**» صدقًا من قلبه، فيشفع فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**لقد علمت يا أبا هريرة أنه لا يسأل عن هذا أحد قبلك؛ لما رأيت من حرصك على العلم**».

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال فيما يرويه عن ربه عز وجل: «**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا مثلها أو أغفر، ومن أتاني بقراب الأرض خطايا لا يشرك بي شيئًا أتيته بقرابها مغفرة، ومن تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ..** » الحديث.

ألا فإن تحقيق كلمة التوحيد من موجبات الجنة، بإذن الله عز وجل فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في الصحيح من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**» فليحذر كل امرئ على نفسه مما يخرج من لسانه، ومما يجول في صدره، ومما يأتي ويذر، ولا يكون في ذلك ما يخالف توحيد الله يشرك أصغر أو أكبر؛ فإنه والله على خطر، وإن كان من تلك الألفاظ التي يقولون: لولا فلان لمت، أو لولا الكلب لدخل اللصوص البيت، أو لولا أولادي لاعتدى علي الأعداء، كل هذا يجب أن يجتنب، وما أكثر ذلك!

وهكذا أيضًا الحلف بالأولياء أو الحلف بالكعبة، أو الحلف بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو الحلف بالعيش والملح، أو الحلف بالمقبورين، أو الحلف بالأحياء والأموات، هذا حاصل بين المسلمين وكله خطير جدًا، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من كان حالفًا فلا يحلف إلا بالله أو ليصمت**» فشرك بالله: أن يحلف الإنسان بغير الله، فإن كان معظمًا له كان أكبر، وإن لم يكن معظمًا له

كان شركًا أصغر، فخطير جدًا على العبد أن يغفل عن هذه الكلمات سواء كان توحيدًا في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات، فإنه قد ثبت من حديث قتيلة أن النبي ﷺ قال: «**لا تقولوا: (ما شاء الله وشاء محمد)، وقولوا: (ما شاء الله وحده)**».

وكانوا يحلفون ويقولون: والكعبة، فقال: «**قولوا: (ورب الكعبة)**» وقال مسلم ليهودي: نعم القوم أنتم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله، فقال اليهودي: ونعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون تنددون تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، وتقولون: والكعبة، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك.

إن عبادة الله قائمة على توحيد الله، والمسلمون لا يهتمون كثيرًا بهذا الجانب جانب العناية بالألفاظ والأقوال وبالقلوب وما يصدر منها إلا من رحم الله، قال النبي ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

الشرك بالله أكبر الكبائر قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس، فقال: ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت**» سواء كان هذا الشرك من ذبح لغير الله، أو نذر لغير الله، أو دعاء لغير الله، أو استغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

فتوحيد الله مخلص من عذاب الله لما ثبت من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «**أن رجلًا يؤتى به يوم القيامة يوضع له سجلات مد**

البصر من سيئاته، ثم يؤتى ببطاقته فيقال له: هل ظلمك كتبتي؟ هل لك من حسنة اليوم؟ فيقول: ليس لي حسنة وما ظلمني كتبتك، ثم توضع تلك البطاقة في كفة فتطيش بسائر السيئات، قال: ولا يثقل مع اسم الله شيء..» وهذا الحديث صحيح.

ثم اعلموا عباد الله أن توحيد الله قد ينتقض بقول أو معتقد، فقد ينتقض بشرك، وبما جاء في الأدلة أنه ناقض، فينبغي للإنسان أن يحافظ على توحيده، فالتوحيد يعينه على سائر الطاعات والقربات إن هو حقق توحيد الله سبحانه وتعالى.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فتوحيد الله ركن من أركان الإسلام، وكلمة التوحيد ركن من أركان الإسلام؛ لما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، ، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا، وصوم رمضان**».

كلمة (لا إله إلا الله) أعظم شعبة من شعب الإيمان، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

توحيد الله أعظم ذكر، لا إله إلا الله أعظم الذكر؛ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله**»، وقال: «**أربع أفضل الذكر لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**» .

وهكذا تعلم أن (لا إله إلا الله) فلاح للعبد إن هو حقق ذلك ومات على ذلك، فقد ثبت من حديث طارق رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين كان يذهب إلى أسواق المشركين ذي المجنة وذي المجاز يدعوهم أول أمره، وأول دعوته إلى توحيد الله كان يقول لهم: «**قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا**» وفي حديث أبي سفيان صخر بن حرب أنه لما لقيه هرقل قال: «**ما يأمركم؟ قال: يقول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة**».

وفي حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه في صحيح الإمام مسلم أنه لما لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من معك؟ قال معي حر وعبد -أي: أبو بكر وبلال- وكان يتلمس الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .. قال: يأمر بعبادة الله وحده، لا يشرك بالله شيئًا، ويأمر بصلة الأرحام، وكسر الأوثان**».

هكذا يأمر رسول الله ﷺ، فهذه دعوة جميع المرسلين من نوح، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩].

فكل نبي يعتني جدًا ويهتم جدًا ويمضي عمره تمامًا في إقامة توحيد الله وفي التحذير من الشرك بالله سبحانه وتعالى، فإن من تحقق فيه ذلك تحقق فيه كل خير، ومن لم يتحقق منه ذلك حصل منه إهمال في كل خير، وحصل منه الإقبال على كل شر بحسب إقامة توحيد الله وتعظيم شعائر الله في قلبه، وبحسب بعده عن ذلك، انظروا إلى الصوفية وإلى الشيعة إذ لم يعتنوا بتوحيد الله، كم تجدون عندهم من البدع والخرافات؟ كم تجدون عندهم من الخذلان؟ كم تجدون عندهم من الهذيان والثرثرة؟ كم تجدون عندهم من المغضبات لله رب العالمين في الأقوال والأفعال والموالد؟ .. إلخ.

انظروا كذلك إلى الإخوان المسلمين لما لم يعتنوا بإقامة توحيد الله تدريسًا وخطابة ودعوة وعناية وفهمًا .. إلى آخر ذلكم.

ما اعتنوا بإقامة توحيد الألوهية والأسماء والصفات، وقعوا في الديمقراطية ودعوا إليها، وقعوا في موالاة الكافرين والدعوة إليهم، سواء بلسان الحال أو المقال، وقعوا كذلك في كثير من البدع والخرافات.

فأهل السنة والحمد لله على نعمة في الاعتناء بهذا الأمر؛ وهو مهم جدًا، ولا يفرطون في صغيرة من توحيد الله، ولا في التحذير من الشرك بالله ولو كان شركًا لفظيًا، وفي الصحيح قصة الأبرص والأعمى والأقرع أنه لما قال:

(ورثته كابرًا عن كابر فغضب الله عليه، والآخر قال: كنت فقيرًا فأغناني الله.. إلى أن قال: فوالله! لا أجهدك في شيء أخذته لله فرضي الله عنه).

أهل العلم في كتب التوحيد حذروا من إضافة النعمة إلى غير الله ونبهوا على إضافة النعمة لله سبحانه وتعالى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ [النحل:٥٣].

فليبق الإنسان مضيفًا النعمة إلى الله إن تحدث بذلك: بفضل الله، بتوفيق الله، لو لا الله سبحانه وتعالى لضللنا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور:٢١].

ولا ينبغي لطالب علم أن يخرج في بادية، أو يخرج بين ناس بينهم من تلك المعاصي، ويهمل لذلك الجانب ولا يركز عليه، فيجب عليه أن يركز عليه غاية التركيز، فإن من مات لا يشرك بالله مات على خير، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢].

فضل العبادة في الهرج

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: روى مسلم في صحيحه عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**العبادة في الهرج كهجرة إلي**».قال النووي في شرح الحديث: المراد بالهرج هنا الفتنة، واختلاط أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا الأفراد.

والهجرة كما ذكر الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠].

فأبان الله فضل الهجرة، ورب عمل قليل في حالة الفتن يضاعفه الله سبحانه وتعالى، حتى يكون على مستوى الهجرة إلى رسول الله ﷺ وهي أعظم هجرة لحديث: «**لا هجرة بعد الفتح..**».

أيها الناس: إن الشيطان قد لبس على كثير من المسلمين فأضاع أوقاتهم وأعمارهم فيما لا فائدة فيه، وفيما لا يعود عليهم بخير، وقد قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد تمر عليه ساعة لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة وترة يوم القيامة**» تكون عليه حسرة، وهذه الساعات وهذه الأيام والليالي

هي من عمرك لابد أن تستغلها بطاعة الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التغابن:٩]، فيغبن الإنسان على عدم استغلاله تلك الأوقات في ذكر الله تعالى.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٧].

وقال الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت:٥٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠].

وأمر بعبادته قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

طاعة الله عز وجل بالعبادة له خالصة نقية من شوائب الشركيات والبدع والخرافات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر:١٤].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

هذا الدين القيم الذي من أجله خلق الله العباد: ﴿دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٦١].

عبادة الله عز وجل ما من نبي إلا ودعا إليها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦].

ومن أَجَلِّ العبادة في هذه الأزمنة هو دعاء الله عز وجل، إن الدعاء هو العبادة؛ لما ثبت من حديث النعمان بن بشير قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**الدعاء هو العبادة، ثم قرأ:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]».

فسمى الدعاء عبادة في هذه الآية وفي غيرها من القرآن، ويقول الله سبحانه وتعالى عن نبيه الكريم إبراهيم: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ۞ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ [مريم:٤٨-٤٩].

إن أنبياء الله كانوا في غاية الجد والاجتهاد والحرص على دعاء الله سبحانه وتعالى في السراء والضراء والشدة والرخاء، قال الله سبحانه

وتعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يفوض أمره إلى الله سبحانه وتعالى فيقول في دعائه: «**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**».

ثبت من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في ليلة بدر: «ما منا واحد إلا وهو نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه أتى إلى شجرة يصلي ويدعو حتى برق الفجر، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك اليوم يدعو ويتضرع لربه حتى سقط رداؤه، فأتى أبو بكر رضي الله عنه ووضع الرداء على كتفه، وقال: كفاك مناشدتك ربك؛ فإن الله منجز ما وعدك.

هذا هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند الفتن وغيرها اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى لا إلى الأغاني ولا إلى الموسيقى ولا إلى النعرات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ * وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٧-٩٩].

فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما تكالب عليه أعداؤه طلب الله عز وجل المخرج من تلك الفتن وهي طاعة الله عز وجل.

وثبت عن النبي ﷺ فيه بيان عظيم من رسول الله في حالة الفتن وغير الفتن؛ جاء من حديث صهيب قال: «**كان رسول الله ﷺ يحرك شفتيه أيام حنين بشيء لم يكن يفعله قبل ذلك، قال: فقال النبي ﷺ : إن نبيا كان فيمن كان قبلكم أعجبته أمته، فقال: لن يروم هؤلاء شيء، فأوحى الله إليه أن خيرهم بين إحدى ثلاث: إما أن أسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيحهم، أو الجوع، أو الموت، قال: فقالوا: أما القتل أو الجوع فلا طاقة لنا به، ولكن الموت، قال: قال رسول الله ﷺ : فمات في ثلاث سبعون ألفًا، قال: فقال: فأنا أقول الآن: اللهم بك أحاول، وبك أصول، وبك أقاتل**».

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

ففي هذه الآية بيان من الله عز وجل أن من أعظم وسائل نصرة دين الله والنصرة على الأعداء ذكر الله، ﴿إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

إن الله عز وجل لا يعز ولا يمكن إلا من قام على طاعته، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

إنها عبادة الله عز وجل التي من أجلها خلق العباد، من أجل التضرع لله واللجوء إلى الله والافتقار إليه والانكسار بين يديه، فلا يستطيع أحد أن يعزك من دون الله سبحانه وتعالى، ولا يستطيع أحد أن يكرمك لا بالجاه ولا بكثرة مال، ولا بكثرة رجال، ولا بكثرة عدة وعدد إلا من مالك الملك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

فالملك لله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

والله يتولى العباد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ

عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس:٢٢].

فليحذر كل مسلم من عذاب الله، وليحذر كل مسلم على نفسه من الغفلة عن عبادة الله وعن عدم دعائه واللجوء إليه، فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قال: اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب! اهزمهم وانصرنا عليهم**».

وهكذا كان رسول الله ﷺ يحرص من التزود من هذه العبادة كما في حديث عائشة رضي الله عنه قالت: «**كان يحب الجوامع من الدعاء ويضع ما سوى ذلك**».

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال: «**كان أكثر دعاء النبي ﷺ: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار**».

ومن حديث قطبة بن مالك عن النبي ﷺ قال: كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء**».

ويقول ابن عمر: «**لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي**

وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي».

حياة رسول الله ﷺ كلها ذكر ودعاء، وحياة سائر الأنبياء ذكر ودعاء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] إي: لن نضيق عليه ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] فكان من أعظم الفرج على ذا النون أن ألهمه الله عز وجل الدعاء والذكر في تلك اللجج لجج البحار، وفي جوف الحوت وهو ينادي بهذا الدعاء الذي أوحاه الله إليه وجعله الله سبحانه وتعالى له فرجًا، وأخرجه الله من جوف الحوت أو من بطن البحر إلى جانب البر.

ونبي الله زكريا عليه السلام قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۞ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

فبسبب أنهم كانوا يدعونه رغبًا ورهبًا أكرمهم الله سبحانه وتعالى ورزقهم الذرية الصالحة، وأصلح الله له زوجه، أصلح الله له دينه ودنياه؛ بسبب الدعاء.

ومن دعاء رسول الله ﷺ ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم! أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، واجعل الموت راحةً لي من كل شر**».

هكذا كان رسول الله ﷺ يلح على ربه في الدعاء ويرفع يديه وهو يدعو الله سبحانه وتعالى، ورفع يديه في مواطن كثيرة، وثبت عنه قال: «**إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين**».

فالله.. الله.. عباد الله! في الرجوع إلى الله عز وجل والإقبال عليه، وكثرة الدعاء له سبحانه وتعالى، فإن هذا من أعظم وسائل طاعة الله عز وجل، ولذلك خلق الله العباد.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

ثبت عن رسول الله ﷺ دعاء عظيم من حديث ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: «**رب! أعني ولا تعن علي، وانصرني ولا تنصر**

علي، وامكر لي ولا تمكر علي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني لك شكارًا لك ذكارًا لك رهابًا لك مطواعًا لك مخبتًا إليك أواهًا منيبًا، رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي وسدد لساني واهد قلبي واسلل سخيمة صدري».

هذا من دعاء رسول الله ﷺ الذي كان يعتني به.

ومن دعائه: «**يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك**»، نجاتك منوطة بطاعة الله وبدعائه إذا وفقك الله لطاعته فهو الذي يقبل الدعاء ويجيبه، وهو الذي يوفقه للطاعة؛ ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ما من رجل يدعو الله بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يعجل له في الدنيا وإما أن يدخر له في الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل، قالوا: يا رسول الله!وكيف يستعجل؟ قال: يقول: دعوت ربي فما استجاب لي**».

والتوسل إلى الله عز وجل بالأعمال الصالحة نوع من الدعاء؛ كقولهم: «**اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه**» وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٥-٨].

وأن هذه الرغبة إلى الله بالعبادة والدعاء هي من أجل القربات، وهي من أَجَلِّ وسائل الفرج، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ

أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر:٦٠].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦].

إرشاد الخلف إلى فهم السلف

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ * يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة:١٥-١٦].

ففي هذه الآية أبان الله للأولين والآخرين أن من اتبع نوره وكتابه المبين هداه الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة:١٦].

يهديه إلى طرق الخيرات وسبل السلامة ومنهج الاستقامة، يهديه إلى ذلك كله، ألا وإن من سبل السلامة ومن طرق الخير ما حث الله عليه في كتابه الكريم بقوله عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

هذه الآية مع ما فيها من الثناء على تلك القرون فيها حث على مدح طريقتهم، وعلى مدح منهجهم الذي كانوا عليه رضوان الله عليهم، فإن الله عز وجل وعد الرضا لمن كان على ذلك الحال.

ويقول الله سبحانه وتعالى مهددًا من خالف ذلك الطريق الذي كانوا عليه مهددًا له بعذابه الأليم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

بين الله عز وجل أن من يشاقق الرسول من بعدما تبين له والهدى، وتبين له سبيل المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ، وهكذا من بعدهم ممن كان على نهجهم فإن الله يوليه ما تولى ويستدرجه ويملي له، ثم إن الله عز وجل يوفيه عذابه ويصليه جهنم وساءت مصيرًا، فهذا وعيد شديد من الله سبحانه وتعالى في مخالفة هذا الطريق ومخالفة هذا المنهج القويم.

الله عز وجل يقول في كتابه الكريم مبينًا طريق الضلال وطريق الهدى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧].

ففي هذه الآية بيان من ربنا الله سبحانه وتعالى أن كل من آمن بمثل ما آمن به أصحاب رسول الله من القول والفعل والمعتقد وسائر العبادات فقد

اهتدى، وإنهم إن تولوا عن ذلك الطريق ونأوا عنه وابتعدوا عنه فإنهم مشاقون لله ولكتابه ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة:١٣٧]، وهكذا في عناد، والله وتعالى يقي المؤمنين شرهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران:١١١].

ومن خالف ذلك الفهم وأتى بغيره فليس عنده إلا الشقاق والعناد والله يكفي المؤمنين شره، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧].

وقال الله سبحانه وتعالى آمرًا نبيه وهكذا آمرًا جميع المؤمنين: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

إن المغضوب عليه هم اليهود، والضالون هم النصارى، وكلهم مغضوب عليهم وضالون بكفرهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٧].

أي: ما كتبنا عليهم تلك الرهبانية، إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، فأعرضوا عن ذلك واتبعوا تلك الرهبانية، وهكذا الضالون هم النصارى.

وأفهم الناس لدين الله، وأعلم الناس بشرع الله، واتقى الناس لله سبحانه وتعالى بعد أنبيائه ورسله؛ هم الصحابة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠].

هذا الخطاب يتناول أصحاب رسول الله ﷺ أوليًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨].

هذه تزكية من الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:٩-١٠].

هذه الصفات لا تتوفر إلا فيمن أراد الله به خيرًا.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**».

فهذه تزكية عظيمة من الله سبحانه وتعالى لذلك القرن ولأولئك الأناس رضوان الله عليهم، وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «**فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه؛ حتى تلقوا ربكم**».

فمن مفهوم هذا الحديث أن القرن الأول هو خير القرون وأفضلها وأبرها.

وجاء من حديث ابن مسعود وعمران بن حصين وأبي هريرة وآخرين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، وفي رواية: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وإن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن**».

أبان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تلك القرون هي خير القرون، وأن أناس ذلك الزمن خير ناس، وأن من بعدهم يأتي فيهم ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وروى أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا يزال الناس في خير ما دام فيهم من رأى من رآني، ووالله ما يزالون بخير ما زال فيهم من رأى من رآني**» وفي رواية: «**ولا يزالون بخير ما دام فيهم من رأى من رآني**».

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «**يأتي زمان يغزو فئام من الناس فيقال: فيكم من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فيقال: نعم،**

فيفتح عليهم، ثم يأتي زمان فيقال: فيكم من صحب أصحاب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح، ثم يأتي زمان فيقال: فيكم من صحب صاحب أصحاب النبي ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح».

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى قال: «**صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا، فخرج علينا فقال: ما زلتم هاهنا؟ قلنا: يا رسول الله! صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: أحسنتم أو أصبتم، قال: فرفع رأسه إلى السماء- وكان كثيرًا مما يرفع رأسه إلى السماء- فقال: النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**».

قال النووي رحمه الله: معناه أنه إذا ذهب أصحاب رسول الله ﷺ أتى الناس ما يوعدون من الفتن والشرور.

فإذا كان الأمر كذلك كان واجبًا على كل مسلم أن يسلك ما سلك أصحاب رسول الله ﷺ؛ حتى ينجو من الهلاك ومن البدع ومن الضلالات ومن الفتن والمهلكات، وقد روى مسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تركتكم على البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك**»، وأنت إذا تأملت هذا الحديث ترى أن النبي ﷺ قال لأصحابه بذلك الخطاب فهو يخبرهم أنه تركهم على البيضاء: «**تركتكم على**

البيضاء ليلها كنهارها» لا يزيغ عن تلك السنة التي ترك رسول الله ﷺ أصحابه ومن تبع أصحابه عليها إلا هالك، أي: من كان على غير ذلك الحال فهو هالك.

ونظير ذلك ما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقةً، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقةً كلها في النار إلا واحدة**»، وجاءت زيادة: «**قالوا: من هي يا رسول الله؟! قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

ألا فإن الشقي كل الشقي من رغب عن طريق رسول الله ﷺ وعما كان عليه أصحابه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور:٦٣].

إن رسول الله ﷺ أمر أن نتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على فهم أصحابه رضوان الله عليهم، وعلى فهم السلف الصالح، ومما يدل على ذلك ما أخرجه الترمذي وغيره من حديث العرباض بن سارية قال: «**وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟! قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبد حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيرًا، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء**

الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة ضلالة».

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وقال الله سبحانه وتعالى آمرًا لنبيه أن يتبع طريق المرسلين من قبله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٩٠].

وقال النبي ﷺ: «**أنا معشر الأنبياء أولاد علات، ديننا واحد**».

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأحقاف:٢١].

كلهم من أولهم إلى آخرهم وهم على ذلك الطريق إليه يدعون وعن ضده ينهون وينئون.

عباد الله: ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ۞

وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان:١٤-١٥].

هل تعلمون أحدًا أشد إنابة وأفضل اتباعًا من أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم؟ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان:١٥].

فأمرنا الله سبحانه وتعالى أن نتبع سبيل من أناب إليه، أن نتبع سبيل أولئك الأبرار الأتقياء رضوان الله عليهم، وأن نسلك مسلكهم، وأن من خالف ذلك إنما هو في شقاق يكفي الله المؤمنين شره، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**قبل الساعة سنون خداعة**» قال أهل العلم: هذا ليس على الإطلاق فالطائفة المنصورة لا تزال موجودة، قال: «**يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الرويبضة، قالوا: وما الرويبضة يا رسول الله؟! قال: السفيه يتكلم في أمر العامة**».

وجاء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**قيل: يا رسول الله! متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في**

الأمم قبلكم، قلنا: يا رسول الله! وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: الملك في صغاركم، والفاحشة في كباركم، والعلم في رذالتكم».

قال أهل العلم عند هذا الحديث: المقصود بالرذالة: الذين لا يعملون بالعلم، الذين هم من أهل الأهواء، فالعلم في جانب وهم في جانب، وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في جانب، وهم يسلكون في جانب آخر لا على كتاب ولا على سنة ولا على فهم صحيح، جاء من حديث أنس وغيره من طرق أن النبي ﷺ قال: «**يكون في آخر الساعة القابض على دينة كالقابض على جمر**».

وفي تلك الأزمان يكون أجر الواحد كأجر خمسين من الصحابة، وهكذا الأدلة تتوالى من كتاب الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:٦].

فعلينا أن نفهم آيات الله وسنة رسوله ﷺ على فهم السلف الصالح، ومن ابتغى غير هذا الطريق فليس حظه إلا الشقاق والفتن، وقد رأينا هذا بأعيننا ممن أرادوا أن يخترعوا سننًا وينتهجوا طرقًا أنهم وقعوا في الزلات والضلالات. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فما هناك سبيل لجمع كلمة المسلمين، ولا هناك طريق لحصولهم على خيري الدنيا والآخرة إلا بدلالات الله سبحانه وتعالى ورسوله، وقد دلنا الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم على هذه الدلالات من كتاب الله وسنة رسوله على فهم السلف الصالح، فمن كان مبتغيًا لنفسه الخير وراضيًا لنفسه سبيل الرشاد فعليه بذلك، يعض عليها بالنواجذ، ولقد كثر دعاة الفتن، ومروجو المحن في كل بلد وزمن ممن يدعون دعوى كدعوى فرعون، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩].

ممن يتمسح بأتربة القبور، ويعتقد النفع والضر في التمائم والحروز، ويتكلم على أصحاب رسول الله ﷺ كذبًا وشتمًا وتزويرًا، من أهل الضلالات والبدع والخرافات والتحزبات مدعين في ذلك أنهم على طريق قويم، وربنا عز وجل يقول: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى:١٠].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

فهذه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيها بيان المخرج من الفتن، وبيان لاجتماع كلمة المسلمين، وبيان لخيري الدنيا والآخرة، ومن شاق ذلك فإنه على شفا هلكة وضلالة، ثبت من حديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها، قال: قلنا: يا رسول الله! أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل**» هذا شاهدنا: فليس العبرة بالكثرة، وليست العبرة كذلك بكثرة المال ولا بكثرة منصب ولا جاه، إنما الميزة والعبرة عند الله بالتقوى وبالاستقامة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم:٩٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد:٢٨].

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**».

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٧].

أنت إذا استقمت فالله وليك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود:١١٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت:٦].

وثبت من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**».

وشاهدنا: (حتى تراجعوا دينكم) وديننا الذي أمرنا الله به متابعة كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**يوشك أن يأتي زمان يغربل الناس فيه غربلةً، تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا، فكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه، فقالوا: وكيف بنا يا رسول الله؟! قال: تأخذون ما تعرفون وتذرون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم، وتذرون أمر عامتكم**».

إنه يجب على كل مسلم أن يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، ومن لا يسعه ذلك فليس من الله في شيء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨-١٩].

فالحذر الحذر من اتباع الجهال؛ فإن الله عز وجل حذر من ذلك: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨-١٩].

الصبر

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠ـ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

ففي هذه السورة الكريمة بيان من الله سبحانه وتعالى أنه لن ينجوَ من الخسارة إلا من آمن وعمل صالحًا، عمل بذلك قولًا وفعلًا، أوصى نفسه وغيره ووصل خيره إلى غيره سواء كان في أمر ديني أو دنيوي.

فكان لزامًا على المسلمين أن يتواصوا بالحق وبالصبر، وما نصح لك ناصح بأكثر من الوصية بالحق وبالصبر كما أوصى لقمان عليه السلام ولده فقال: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧].

وأخبر الله في كتابه أنه لابد من الابتلاء في الدنيا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

فالصبر الصبر على ابتلاء الله سبحانه وتعالى! قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

ولا تصلح دنيا ولا أخرى إلا بذلك، والصبر يُعتبر عند الله من أَجَلِّ القربات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

فالصبر على أقدار الله، والبعد عن معاصيه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

اصبر لعبادته فعبادة الله سبحانه تحتاج منك إلى صبر كما كان الرسل والأنبياء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر:١-٧].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤].

قد جاءك من أنباء وأخبار المرسلين أنهم قد صبروا، وكان ذلك الصبر من أعظم وسائل النصر.

فما أحوجنا بأن نستضيء بالصبر في ديننا وسائر حياتنا، فعند الإمام مسلم وغيره من حديث الحارث الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ : «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**».

الصبر ضياء -أيها المسلم- فالإنسان بغير ضياء لاشك أنه سيقع في الظلمات والحفر والانتكاسات، وإن الصبر ليعتبر ضياء، ولا يستطيع أحد أن يبتعد من المحرمات إلا بوجود الصبر، الذين أخذوا أموال الناس بالباطل بالربا، أو التكهن والشعوذة والأسحار أو السرقة أو الاعتداء أو التسول، وغير ذلك من الأمور ما فعلوا ذلك إلا حين لم يمتلكوا الصبر: على أقدار الله، وعلى طاعة الله، وعن معاصيه.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «**أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه**

فأعطاهم، حتى نفد ما عنده فقال: ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر».

الصبر أعظم خير.

ومما يؤيد ذلك أن الصبر خير، وغنى ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث صهيب قال: قال رسول الله ﷺ : «**عجبًا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**».

وكونه يشكر على ذلك الخير يعتبر صبرًا على حصول الخير، وقليل من الناس من يصبر على ذلك.

الصبر يعتبر شجاعة وقوة، ففي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**».

والصبر حزم يقول النبي ﷺ آمرًا ابنته حين أرسلت إليه أن ابنها يحتضر: «**إن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فمرها فلتصبر ولتحتسب**».

فلا ينال الإمامة في دين الله إلا بذلك، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله: بالصدق واليقين تنال الإمامة في الدين. أي: بالصبر على طاعة الله، إن هذا هو سبيل الخير بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

وأخبر ربنا الله سبحانه وتعالى في كتابه في قصة سحرة فرعون وما أتاهم الله من الخير من حيث الصبر أنهم كانوا قمة في الإيمان: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ * قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ * إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه:٧١-٧٣].

وفي آية أخرى قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف:١٢٤-١٢٥].

مادمنا سننقلب إلى الله عز وجل على هذا الحال فلا ضير: ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٥٠-٥١].. وقال جل وعلا: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠].

والله سبحانه وتعالى أثنى على الصابرين وأحبهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٦].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

إن الله سبحانه وتعالى قد أكرم الصابرين وجعل لهم أجورًا بغير حساب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠].

لا شك أن الله عز وجل يجزي بالحسنة عشر أمثالها، والصابرون يجزيهم الله سبحانه وتعالى بغير حساب.

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۞ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [الرعد:٢٢-٢٤].

هذه الدار دار صبر قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد:٤].

إن الصبر ثمرة التقوى غالبًا؛ فالنبي ﷺ لما مر على امرأة تبكي عند قبر قال: «**اتقي الله واصبري، قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي ولم**

تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ﷺ، فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى».

الشاهد من ذلك عباد الله: أن النبي ﷺ أوصاها بتقوى الله سبحانه وتعالى وأوصاها بالصبر.

إن هذا الصبر أمره عظيم وهو باب واسع من أبواب الخير في الدنيا والآخرة، باب واسع من أبواب الجنة أيضًا؛ فالله سبحانه وتعالى حث عليه في كتابه ورسوله ﷺ حث عليه في سنته لما فيه من الخير في الدنيا والأخرى، حتى في تعليم الإنسان لأهله، إن لم يصبر عليها كان آثمًا إن لم يقم بما ألزمه الله سبحانه وتعالى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه:١٣٢].

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فتأملوا قول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ

وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦].

وتأملوا قول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وهو يبين أن من صبر حتى على أعدائه فإن شره لا يضره قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران:١٢٠].

وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦] مع أن الله عز وجل ذكر في سورة الشورى والأحزاب ما استدل به جمهور أهل العلم على أن أهل العزم هم خير الأنبياء الذين اتصفوا بهذه الصفات، وهكذا كل مؤمن.

إن الصبر يجعل العدو حميمًا، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصلت:٣٤-٣٥].

وقال قبلها: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت:٣٤].

فالذي بينك وبينه عداوة ينقلب من تلك الحالة، فما أحسن الأمور التي تعالج بالصبر!

إن الصبر يا عباد الله دعوة والله! فرسول الله ﷺ عندما دعا قومه صبر، قال ابن مسعود: «**كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

وهكذا ما في الصحيح أن النبي ﷺ قال لعائشة: «**لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**».

وصبر ﷺ كذلك حين ركب على حمار يعود سعد بن عبادة فقد جاء: «**أنه مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم، ثم وقف، فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أيها المرء! إنه لا أحسن مما تقول، إن كان حقا فلا تؤذنا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص**

عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله! فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبي ﷺ : يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ -يريد عبد الله بن أبي قال: كذا وكذا- قال سعد بن عبادة: يا رسول الله! اعف عنه واصفح، فنزل قول الله: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:١٠٩]».

تصديق لقول سعد بالصبر، فما أجل الوصية بالحق وبالصبر! ولا يصلح للمسلمين خير في دنيا وأخرى، ولا يتأتى لهم خير إلا بالصبر على هذه الثلاثة الأمور: على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله سبحانه وتعالى، نسأل الله السداد لما يحبه ويرضاه.

ذم الكبر

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٧-١٩]..

فهذه وصية من لقمان عليه السلام لابنه أنه لا يمشي في الأرض مرحًا، وأن هذه صفة رذيلة، ويقول الله سبحانه وتعالى في نظير هذه الآية من سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا * كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء:٣٧-٣٨].

فهذه آداب يؤدب الله سبحانه وتعالى بها عباده.

فمن أخذ هذه الآداب النبوية بل الآداب الربانية فقد نال الحظ الأوفر والقسط الأكبر، وهذه الآداب الربانية أعرض عنها الشيطان وأعرض عنها الكفار، فكانوا من حصب جهنم، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٦١-٦٣].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۝ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١١٨-١١٩].

كل هذه الإهانة التي حصلت للشيطان كان ذلك بسبب الكبر الذي فتن به، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤].

وهكذا تقرأ كتاب الله وتقرأ سنة رسول الله ﷺ ترى أن كفر كثير ممن كفر بالله سبحانه وتعالى هو الكبر عن الحق سواء كان من بني إسرائيل أو من غيرهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ

وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة:٨٧].

فالله يذكر لهم مزايا الأنبياء، ويذكر لهم صفات الأنبياء، ويبين لهم إكرامه سبحانه وتعالى لأنبيائه، ثم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧] بسبب الكبر .

وانظر إلى ما يقول ربنا سبحانه عن قوم صالح كيف أهانهم الله سبحانه وتعالى كما في كتابه فدمرهم ولا يمر أحد الآن بجانب قبورهم إلا وهو باكي ولا يدخل عليهم إلا وهو باكي، فإن لم يكن باكيًا فيخشى عليه من عذاب الله، قال رسول الله ﷺ : «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم؛ لا يصيبكم ما أصابهم**».

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ❁ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ❁ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ

لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ * فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف:٧٣-٧٨].

فبسبب كبرهم وعنادهم للحق أهلكهم الله، وهكذا قوم شعيب، وهكذا سائر من كذب بدين الله سبحانه وتعالى وتكبر يعذبه الله سبحانه وتعالى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٨٥].

فهذه دعوة من نبي الله جلية واضحة يقابلونها بالكبر: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وكان عاقبة أولئك خسرًا من أجل أنهم تكبروا على الله وعلى رسوله ﷺ، وأهلكهم الله بيوم الظلة، قال سبحانه: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ * وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ * فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ

حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٣٨ـ٤٠].

فأنت تقرأ كتاب الله بتدبر وتمهل، وتنظر في سبب هلاك تلك الأمم فترى أنه الكبر، ونبي الله نوح عليه الصلاة والسلام دعو قومه فيقابلونه بالسب وبالشتم، قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح:٧].

دعوة تمكث مئات السنين وهم يقابلونه بهذا، وهكذا من حين إلى حين ولا تنزع ولا تنفع فيهم تلك المواعظ ولا تلك الأدلة؛ لكبرهم الذي هم فيه.

ألا فليتق الله كل إنسان في نفسه ولا يستكبر عن الله ولا يستكبر على شرع الله ولا يستكبر على عباد الله ولا على المؤمنين؛ فإذا أردت أن يحبك الله فأعرض عن هذه الصفات الذميمة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤]. وهذه صفات عظيمة.

وهكذا جعل الله الدار الآخرة للمتواضعين الذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣].

عباد الله: صفة الكبر من أقبح الصفات الذميمةالتي هلك بها بنو إسرائيل، وهلك بها المشركون، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ [سبأ:٣١-٣٢].

وذكر الله سبحانه وتعالى محاجة المستضعفين للمتكبرين، وأنهم كلهم في النار.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل:٢٢-٢٣].

فهكذا أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم في خسارة؛ لأن الله لا يحب المستكبرين، بل يبغضهم الله سبحانه وتعالى، فقد ثبت من حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا**

يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله! قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: هم المتكبرون».

فالشاهد من هذا: أنهم أبغض الناس إلى الله وإلى رسوله، فقد جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**».

وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغ أحد على أحد**».

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ**﴾ [المنافقون:٥].

يستكبرون حتى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا شأن المنافقين، شأن اليهود، شأن الشيطان، شأن كل من حرمه الله التوفيق وكل من أراد الله به الشر، ففي الصحيحين من حديث حارثة بن وهب الخزاعي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضاعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر**».

فهل تحب أن تكون من هذا الصنف؟

وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ : «**احتجت الجنة والنار فقالت النار: في الجبارون والمتكبرون، وقالت الجنة: في ضعفاء الناس ومساكينهم، قال: فقضى بينهما: أنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وأنك النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما علي ملؤها**».

ضعفاء الناس ومساكينهم، فالجنة مثواهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۞ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر:٧١-٧٢].

دخلوا النار؟ بسبب الكبر، وكم حرم ناس من الخير؛ بسبب الكبر والتطاول؟ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:١٤٦].

فصرف الله سبحانه وتعالى قلوب أناس عن الحق والسنة والاستقامة، صرفهم عن الحكمة الكثيرة صرفهم عن كل حق بسبب الكبر وبسبب غمط الناس ورد الحق، كما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر،**

قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنةً، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس».

الحق يرد بطريق الكبر، الحق يرد من باب الكبر، الرسل يقتلون ويرد على الرسل أقوالهم ودعوتهم المؤيدة بالوحي بسبب الكبر.

هذا هو الذي هلك به بنو إسرائيل، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨].

فابن سلول منافق ويعتبر نفسه عزيزًا، والرسول ﷺ ذليلًا هو وأصحابه، فكان عاقبة أمره خسرًا؛ أنزلت سور في بيان فضائحهم، سورة النساء، وسورة التوبة، وسورة المنافقون يفضحهم فيها بسبب هذا الكبر على الحق وأهله.

نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لما يحبه الله ويرضاه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

ففي صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: «**كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء، لا تسبق أو لا تكاد تسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه فقال: حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه**».

هذا حق كتبه الله على نفسه، فإن الله كتب على نفسه الرحمة، وجعل الحق من صفاته فاسمه الحق، ليعلموا أن الله هو الحق المبين، من الحق الذي جعله الله على نفسه أن لا يرتفع أحد إلا وضعه في هذه الدنيا، فمن تكبر يوضع، والنبي ﷺ وعد المتواضعين بالرفعة، فقال ﷺ: «**ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**».

وأنت إذا تواضعت للمؤمنين وتواضعت للحق لابد أن تكون متواضعًا لله سبحانه وتعالى، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ

قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ۞ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٦ـ٧٧].

فهذه النصائح ما استفاد منها قارون، بل أعرض عنها وخرج في زينته متبخترًا متكبرًا فخسف الله به وبداره الأرض، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ۞ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴾ [القصص: ٨٠ـ٨١].

الشرّ حتىٰ في إنزال الإزار، إذا أرخىٰ إزاره وجعله ينزل علىٰ الكعبين كبرًا بمجرد هذا لا ينظر الله إليه: «**العزة إزاري، والكبر ردائي، فمن نازعني في أحد منها قصمته**».

فاحذر علىٰ نفسك أن يقصمك الله بسبب الكبر، احذر علىٰ نفسك وتواضع حتىٰ يرفع الله شأنك، وحتىٰ يعز الله قدرك وحتىٰ يكرمك الله سبحانه وتعالىٰ بطاعته، وحتىٰ لا تصرف عن آيات الله، ولا تصرف عن العلم الشرعي بسبب الكبر والتطاول علىٰ أهل العلم، وعلىٰ أهل الحق.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.. والحمد لله رب العالمين.

أخذ الزاد ليوم المعاد

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان:٣٣-٣٤].

في ذلك اليوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا، في ذلك اليوم الذي يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٧]، في ذلك اليوم تضع كل ذات حمل حملها، كما يقول ربنا الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:١-٢].

ذلك اليوم ليس فيه إلا الحسنات والسيئات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩].

ذلك اليوم لابد من لقائه، كل من على وجه الأرض موعود بلقاء ذلك اليوم من الموت وما بعده، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٧٨].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجمعة:٨].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:١٢-١٦].

هكذا يقول الله سبحانه وتعالى أنه خلقهم وأنه سيميتهم، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة:٢٨].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الواقعة:٦٠-٦٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:٥٧].

أيها الناس: إن الله قد وكل بنا ملكًا من ملائكته لا يفرط في أحد من مخلوقات ألبتة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:١١].

وملائكة الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهكذا وكل الله بجميع البشرية ملائكة يأخذون من ملك الموت الأرواح، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١].

فلا يمكن أن يفرط فيه، ولا يمكن أن يتقدم عن موعده، أو يتأخر ساعة ولا أدنى من ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس:٤٩].

إنها ـوالله ـ لغفلة عن هذا اللقاء العظيم، وعن هذا الموعد الهائل لابد لكل أحد من لقاء الله، فيجب على كل مسلم أن يكون مستعدًا بأعظم ما يلاقي به الله سبحانه وتعالى من طاعته، ويحذر كل الحذر من الغفلة التي تبعده عن الاستعداد لذلك اليوم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩].

اسمع نداء الله يا أيها المؤمن، اسمع تحذير الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ * وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون:٩ـ ١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام:١٣٤]، فهو آت، وكل آت قريب.

هذا موعد لا يؤخر، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح:٤].

فيا أيها الإنسان: لا تهمل حتى إذا بلغت الروح الحلقوم قلت: لو أني فعلت كذا وكذا وقد كان لفلان، فإن رسول الله ﷺ قد أبان في صحيح السنة أن الذين يذكرون الموت هم الفطناء، هم العقلاء، «**أكيس الناس ـ أي: أعقل الناس ـ أكثرهم ذكرًا للموت**» والحديث عن عبد الله بن عمرو صحيح .

وأمر رسول الله ﷺ بتذكر ذلك لما فيه من الفائدة العظيمة: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات، فإنه ما ذكره أحد على كثير إلا قلله، ولا ذكره أحد في ضيق إلا وسعه**».

فأنت إذا كنت في ضيق وكرب وشدة وفقر ومسكنة وانكسار، يقول ربنا سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:٤] فإذا تذكرت الموت اطمأن قلبك، وارتاح بالك؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغةً، ثم يقال: يا ابن آدم! هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغةً في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدةً قط**».

وإن ما ترون في هذه الدنيا من التسابق إليها والتناطح والتقاتل فيها لهو ـ والله ـ غفلة عن الموت عند كثير من الناس، وإلا فإن هذا الموت شديد جدًا، الموت له سكرات، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق:١٩].

ذلك لا يمكن أن تفر منه مهما فررت، فإنه لابد محيط بك، ولو كنت في بروج مشيدة، فلا يمكن لأحد الفرار من الموت.

الموت له غمرات، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣].

الموت له كرب، يقول النبي ﷺ حين كان في كربه وفاطمة رضي الله عنها تنظر إليه وتقول: «**واكرب أبتاه! فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»، ومعناه: أنه ليس على النبي كرب بعد تلك السكرات، وبعد ذلك اليوم ينقطع ذلك الكرب، وكان وهو في سكرات الموت في حجر عائشة رضي الله عنها يقول: «**بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى**» يعني: يختار الرفيق الأعلى على ما في هذه الدنيا، وقالت عائشة رضي الله عنها: «**فما كرهت شدة الموت بعد رسول الله ﷺ لأحد**».

الموت: مفارقة الروح للجسد، فقد قال النبي ﷺ: «**إن الروح إذا خرجت تبعها البصر**»، كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة وأم سلمة: «**أن النبي ﷺ أمر بتغميض الميت؛ وقال: إن الروح إذا خرج تبعها البصر**».

الموت فراق الأهل والأموال والأولاد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ [القيامة:٢٦-٢٧].

تبلغ التراق ولا تنفع رقية، ولا ينفع العلاج، ولا ينفع قريب ولا بعيد.. ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ * وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة:٢٧-٣٠].

الموت قدوم على غربة، يقول أحد موالي عثمان: «**إن عثمان كان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: إن القبر أول منزل من منازل**

الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه، قال: وقال رسول الله ﷺ : ما رأيت منظرًا قط إلا القبر أفظع منه».

وثبت في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحةً قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها! أين يذهبون بها؟! يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه لصعق**».

وفي الصحيح عن أبي سعيد وغيره بنحو هذا، وهكذا يقول ﷺ : «**أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحةً فخير تقدمونها، وإن يك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم**».

والله إنه لعظيم جدًا، وما من أحد إلا وهو سائر في هذا الطريق، ففي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها : «**أن النبي ﷺ كان يزور القبور، ويخرج في ليلتها إلى البقيع**» كما حث عليه أيضًا وقال: «**زوروا القبور، فإنها تذكركم الآخرة**»، قال عائشة: «**قلت: كيف أقول يا رسول الله؟! قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**».

أنت لا تستبطئ مكثك في هذه الحياة، فالذي تقدم قبلك بأيام أنت لاق ما لاقاه، ذائق ما ذاق . وجاء من حديث بريدة عند مسلم قال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**»، وإن شاء الله هنا تحقيقًا لا تعليقًا، فما من أحد إلا هو لاحق بهم.

وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعت النبي ﷺ صلى على جنازة فقال: «**اللهم اغفر له وارحمه، واعف عنه وعافه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بماء وثلج وبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله دارًا خيرًا من داره، وأهلًا خيرًا من أهله، وزوجًا خيرًا من زوجه، وقه فتنة القبر وعذاب النار، قال عوف: فتمنيت أن لو كنت أنا الميت؛ لدعاء رسول الله ﷺ لذلك الميت**».

تزوَّد -يا عبد الله- فقد ثبت من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**خير الناس من طال عمره، وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره، وساء عمله**».

وجاء أيضًا في مسند أحمد: «**أن رجلًا مما كان استشهد، ثم أن رجلًا مات بعده بعام، فوجد ذلك الذي مات بعام قد سبقه في الدرجات، قال رجل: فرأيت الشهيد الذي مات بعده بعام، فأخبرت النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: مما تعجب؟أليس صام رمضان، وصلى بعده خمسة آلاف صلاة أو قال: ستة آلاف صلاة؟**».

هكذا النبي ﷺ يبين أن المسلم إذا طال عمره وحسن عمله فذلك خير له، لكن إذا انتقل ينبغي أن يعلم أن ما عند الله خير له، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٤-٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٦]، وقال جل وعلا: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [النحل:١٢٦]، وقال عز وجل: ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠].

وفي الصحيح من حديث عبادة بن الصامت وأبي هريرة وعائشة وأنس بن مالك وأبي موسى الأشعري وآخرين عن النبي ﷺ قال: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه**».

وكان النبي ﷺ يقول: «**أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة**».

وفي حديث عوف الذي تقدم ذكره أن النبي ﷺ دعا لذلك الميت أن يبدله الله دارًا خيرًا من داره، وزوجًا خيرًا من زوجه، إي والله إن المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة أتته ملائكة بيض الوجوه يبشرونه بما أعد الله له الله سبحانه وتعالى، ويأتونه بحنوط من حنوط الجنة، وأكفان من أكفان الجنة، كما في حديث البراء، وهو حديث طويل حسن.

وروى البخاري في صحيحه من حديث أبي قتادة الأنصاري: «**أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مر عليه بجنازة فقال: مستريح ومستراح منه، قالوا: يا رسول الله! ما المستريح والمستراح منه؟ قال: العبد المؤمن يستريح**

من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب».

فهكذا يبين رسول الله ﷺ أن الآخرة خير للإنسان من الدنيا إذا كان على خير، وأنه يستريح من نصب الدنيا، وقال عمر بن عبد العزيز: إني أعرف أمورًا.. وذكرها، وقال: فإن أعش فسأبينها لكم، وإن أمت فلست على صحبتكم بحريص، هكذا كانوا رضي الله عنهم، ونسأل الله التوفيق.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب الله العالمين ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى:٢-٥].

أما بعد:

فإن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٦-١٧].

ففي هذه الآيات بيان أيضًا من الله سبحانه وتعالىٰ أن ذلك الفاجر يتمنىٰ أن يعود إلىٰ الدنيا بعد الموت، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يس:٥٠].

وقال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ * فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠-١١].

أيها الناس: أمر خطير يجب علىٰ كل مسلم أن يكون في غاية الاستعداد له؛ فإنه لا يدري الإنسان متىٰ يأتيه الموت، في ليل أو نهار، في صغر أو كبر، أيأتيه الموت وهو علىٰ طاعة أو معصية، أيأتيه الموت وهو علىٰ خير أو شر، فكان لزامًا علىٰ كل مستيقظ أن يكون حريصًا علىٰ ما ينفعه وهو الاستعداد كما أوصىٰ النبي ﷺ ابن عمر فقال ﷺ: «**يا عبد الله! كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك**».

وقال رسول الله ﷺ: «**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ثلاث ليال إلا ووصيته عنده مكتوبة، قال عبد الله بن عمر: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيتي**».

تزوَّد -يا عبد الله- بما ينفع؛ ففي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «**يتبع الميت أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله**».

ولقد نام رسول الله ﷺ على حصير فدخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه، فقال: «**يا نبي الله! لو اتخذت فراشًا أوثر من هذا؟ فقال: ما لي وللدنيا؛ ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعةً من نهار، ثم راح وتركها**».

هذا هو الاستعداد للقاء الله سبحانه وتعالى، ثبت عن أنس قال: «**قال رجل: يا رسول الله! إن لفلان نخلةً، وأنا أقيم حائطي بها فأمره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها، فقال له النبي ﷺ : أعطها إياه بنخلة في الجنة، فأبى، فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي، ففعل فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني قد ابتعت النخلة بحائطي، فاجعلها له، فقد أعطيتكها، فقال رسول الله ﷺ : كم من عذق راح لأبي الدحداح في الجنة؟ قالها مرارًا، قال: فأتى امرأته فقال: يا أم الدحداح! اخرجي من الحائط، فإني قد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع، أو كلمةً تشبهها**» فهكذا كانوا يستعدون ويستبقون.

ولما حث النبي ﷺ على الصدقة قال عمر بن الخطاب: «**لأسبق أبا بكر، فذهب فتصدق بشطر ماله، ثم أتي إلى النبي ﷺ فقال: بم تصدقت يا عمر؟! قال: بشطر مالي، قال: بم تصدقت يا أبا بكر؟! قال: بمالي كله، أبقيت لهم الله ورسوله، قال عمر: لم أكن لأسبق أبا بكر**»، وهكذا ما زالوا يستبقون إلى الخيرات، ويستعدون إلى الآخرة.

ورجل يقول للنبي ﷺ: «**أين أنا يا رسول الله! إن قتلت؟ قال: في الجنة، فألقى تمرات كن في يده، ثم قاتل حتى قتل**».

وبعض أصحاب النبي ﷺ قال:

ركضًا إلى الله بغير زادِ — إلا التقى وعمل المعادِ
والصبر في الله على الجهادِ — وكل زاد عرضة النفادِ
إلا التقى والبر والرشادِ

وهكذا كانوا يرغبون إلى الله سبحانه وتعالى بكل قليل وكثير وصغير وكبير، وبما يقربهم إلى الله سبحانه وتعالى عاملين مستيقنين بأن الموت آت لا محالة، كما يقول ربنا الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤-٣٥].

نسأل الله أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معاصيه.

خطبة عيد الأضحى لعام ١٤٢٥هـ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فإن الله عز وجل أمر جميع العباد لعبادته، وألزمهم بطاعته، وطلب رضوانه ومغفرته وجنته، قال عز من قائل: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ * وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٥].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

ألا وإن من أعظم ما يسابق به العبد به إلى ربه ويتقرب إليه وينجو به من عذابه وبطشه ونقمته لهو توحيد الله سبحانه وتعالى، تحقيق ذلك والبعد كل البعد عن الشرك الله سبحانه وتعالى، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

فقد بشرهم الله عز وجل بأنهم آمنون يوم القيامة، آمنون على الصراط، آمنون عند الميزان، يأمنون عند تطاير الصحف، يأمنون في سائر أوقات وحالات الآخرة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ

ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف:١٣-١٤].

هذا توحيد الله والاستقامة على شرعه ودينه الحق، والتمسك بكتابه وسنة رسوله ﷺ، هم أهل الجنة، هم أهل جنة عرضها السماوات والأرض، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف:٧٢-٧٣].

ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ۞ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر:٤٥-٤٨].

فهم آمنون من النصب، وآمنون من الضغناء والشحناء، وهم آمنون فيها من الفتن، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۞ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨].

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مبينًا عظم الاستقامة على دينه الحق: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧].

أيها الناس: إن توحيد الله سبحانه وتعالى والتمسك بشرعه لهو عز في الدنيا والآخرة، لهو أمان في الدنيا والآخرة، لهو خير في الدنيا والآخرة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**».

وفي الصحيحين من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «**كنت ردف النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **على حمار يقال له: عفير، فقال: يا معاذ! هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا**».

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي: هذا موسى** صلى الله عليه وآله وسلم **وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمتك،**

ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، ثم نهض فدخل منزله، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه فقال: هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون».

إن هذه الأعمال توافرت فيهم لكمال توكلهم على الله سبحانه وتعالى، واعتمادهم عليه وثقتهم به؛ فلهذا استحقوا بفضل الله أن يكونوا من أهل الجنة يدخلونها بغير حساب ولا عذاب، روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث جابر رضي الله عنه قال: «**أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**».

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن أبي سعيد قال: «**لما كان غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة قالوا: يا رسول الله! لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا، فأكلنا وادهنا، فقال رسول الله ﷺ : افعلوا، قال: فجاء عمر، فقال: يا رسول الله! إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك، فقال رسول الله ﷺ : نعم، قال: فدعا بنطع فبسطه، ثم دعا بفضل**

أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكف ذرة، قال: ويجيء الآخر بكف تمر، قال: ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير، قال: فدعا رسول الله ﷺ عليه بالبركة، ثم قال: خذوا في أوعيتكم، قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملئوه، قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ : أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة».

وروى مسلم في صحيحيه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **«يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولةً، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئةً لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرةً».**

في مثل هذا اليوم الكريم خطب رسول الله ﷺ الناس في منى خطبة جليلة من حديث أبي أمامة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: **«اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم».**

وروى الإمام أحمد وغيره من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه سأل رجل النبي ﷺ فقال: **«يا رسول الله! دلني على عمل يدخلني الجنة وينجيني من النار؟ قال: بخ بخ، لئن كنت قصرت في الخطبة لقد أبلغت في المسألة،**

افقه إذًا تعبد الله عز وجل لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة، وتحج البيت وتصوم رمضان».

وفي الصحيحين من حديث أبي أيوب رضي الله عنه: **«أن أعرابيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله! دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟ قال: تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئًا أبدًا، ولا أنقص منه، فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»** أي: هذا الذي ذهب من عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ممتثلًا لهذا الأمر العظيم، هذا من أعظم مسالك الجنة وأحسن طرقها.

ومن أعظم ذلك أيضًا إقامة الصلاة بعد إحسان الطهور، فقد ثبت من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء**».

وقد روى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لبلال عند صلاة الفجر: «**يا بلال! حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة؟ قال: ما عملت عملًا أرجى عندي أني لم أتطهر طهورًا في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور، ما**

كتب لي أن أصلي» هذا كان من أسباب دخول بلال رضي الله عنه الجنة: الصلاة على كل طهور.

وجاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»**.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«من صلى البردين دخل الجنة»**.

هذه طرق الجنة أيها المسلمون، وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن سهل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»**.

وفيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله! هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم وأرجو أن تكون منهم»**.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**العمرة إلى العمرة، كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**».

وقد روى الترمذي وغيره من حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من تكفلني ألا يسأل الناس شيئًا، وأتكفل له الجنة؟ فقال ثوبان: أنا، فكان لا يسأل الناس شيئًا**» ذلك بأنه أراد الجنة بالعفة!

العفة العفة عباد الله! عن أعراض الناس، عن أموال الناس، عن محرمات الناس، فإن ذلك من أسباب دخول الجنة، وهكذا من أسباب دخول الجنة الأعمال الصالحة مع أنك تعلم يا عبد الله أن من أجلها وأعظمها طلب العلم الشرعي والتفقه في دين الله، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنة**» بسبب ذلك الطريق يسلك به إلى الجنة يشق به طريق إلى الجنة، إذا كان التفقه لله من أجل الله وفي الله، وعلى شرعه الحق لا على مطالب الدنيا ومطامع الدنيا فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الروم:٧].

ألا فإن ما يدخل به العبد الجنة لهو التفقه بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد ثبت كما في البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله

ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟! قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**».

ألا وإن من أعظم ما يدخل العبد به الجنة تلك الجنة العظيمة التي عرضها السماوات والأرض التي أعدت للمتقين لهو الخوف من الله سبحانه وتعالى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن:٤٦-٤٧].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

ألا وإن أعظم ما يدخل به العبد الجنة لهو البغض للكافرين، والبعد عن التشبه بهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

ألا وإن من أعظم ما يدخل به العبد الجنة لهو كف أذاه عن الناس، ورفع الأذى، وكف الأذى عن المسلمين فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لقد رأيت رجلًا يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس**».

ألا وإن أعظم ما يدخل به العبد الجنة لهو الإحسان إلى الإنسان وإلى الحيوان يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات:١٥ـ٢٠].

قال رسول الله ﷺ : «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**».

وفي هذا اليوم العظيم ينبغي أن يعلم أن أربعًا من بهيمة الأنعام ـولا تصح أضحية من غير بهيمة الأنعامـ من الإبل ذكورها وإناثها، والبقر ذكورها وإناثها، والغنم ذكورها وإناثها، الشاة إذا بلغت عام فما فوقها كما قاله أهل العلم، والبقر إذا بلغت سنتين فما فوق عند جمهور أهل العلم، والناقة إذا بلغت خمس سنين فما فوق لا يجزي إلا ذلك عن أصح الأقوال، ولا يجزي من هذه الأنعام ما كان فيه عيب من تلك العيوب المذكورة، في حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال: «**أربعة لا يجزين في الأضاحي: العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ظلعها، والكسيرة التي لا تنقي، قال: فإني أكره أن يكون نقص في القرن والأذن، قال: فما كرهت منه فدعه، ولا تحرمه على أحد**» هذه أربع لا تجزي عن الأضحية بإجماع أهل العلم لهذا الدليل العظيم، «**أمرنا أن نتخذ الاين**

والأبل» قال علي: «**أمرنا أن نتخذ الاين والأبل**» وهذا من تمام فضيلة الأضحية أن تكون سمينة ثمينة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:٣٧].

ينبغي أن يأكل منها وأن يتصدق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الحج:٣٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ * ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٨-٢٩].

ويقول النبي ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع**» أي: قاطع رحم، ليس خاصًا في العيد لا يصل رحمه إلا في يوم العيد، فإن صلة الرحم في سائر الأوقات، أمر من فرط فيه وعرض نفسه للخطر المبين، وهكذا يقول النبي ﷺ مبينًا مواضع دخول الجنة إن كان من أهل النار: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء**

كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

قال ﷺ: «**يكون قوم يخضبون في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة**».

يقول ﷺ هذا المانع العظيم من موانع دخول الجنة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

نسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه والحمد لله رب العالمين.

البعد عن العصبية

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله خلق السموات والأرض بالحق، وخلق سائر المخلوقات بالحق، وأنزل كتبه بالحق وأرسل رسله بالحق، وأوجد الجنة والنار بالحق، كما ثبت ذلك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**كان إذا قام من الليل يقول: اللهم أنت الحق، ووعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق..**» إلى آخر الحديث.

ويقول الله جل جلاله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص:٢٧].

الذي يعتقد أن الله خلق شيئًا من المخلوقات باطلًا عبثًا، هذا الاعتقاد كفر هذا اعتقاد الكافرين: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

ويقول الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۞ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان:٣٨-٣٩].

ويقول الله جل في علاه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦].

ويقول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢].

ويقول الله تبارك اسمه: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٣٠].

ففي هذه الآيات بيان أن الله هو الحق، وأن دينه هو الحق، وأن كتابه هو الحق، وأن رسله هم الحق، أرسلوا بالحق، وما جاءوا به حق.

واعلموا عباد الله أن أممًا، هلكوا بسبب بعدهم عن الحق، وتعصبهم للباطل، وإن من رءوس من أهلكهم التعصب هو إبليس، فإبليس من نار قال الله عز وجل: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧].

وآدم من طين قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢]، وتعصب إبليس لمادته، وكان من أهل النار من المعذبين المطرودين الملعونين؛ بسبب التعصب الذميم لغير الحق، قال الله جل جلاله في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ

أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۞ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۞ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الحجر:٢٨-٣٥].

تعصب لمادته وأبى أن يسجد لآدم طاعة لله عز وجل من أجل أنه خلقه من نار، وخلق آدم من طين، وكم في القرآن من لعن إبليس قال الله تعالى: ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ۞ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١١٨-١١٩].

من الفتنة التي حصلت لإبليس بسبب تعصه للباطل، تعصبه لجنسه، وهكذا فرعون تعصب لما هو عليه من الفكر، وجاء موسى عليه السلام بدعوة عظيمة بليغة قال فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۞ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [النازعات:٢٤-٢٥].

ويقول الله عنه: ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر:٢٩].

وقال الله عز وجل: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [هود:٩٨].

ويقول الله عز وجل عنه: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا

ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ * فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ * فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [الزخرف:٥١-٥٦].

ولما أغرق في البحر قال سبحانه: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس:٩٠].

قال الله جل في علاه: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ * فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس:٩١-٩٢].

ألقاه بجانب البحر لتكون عبرة للناس، العصبية هلك بها آزر وصار من أهل النار، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ [مريم:٤٢-٤٥].

حفزته العصبية فقال: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم:٤٦-٤٨].

وقال الله جل جلاله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

وكم عاند كفار قريش، عاندوا الله ورسوله ﷺ بالعصبية، قال الله عز وجل: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:٥-٦].

يعبدون أحجارًا، فإذا رأى أحدهم حجرًا أحسن من الذي كان يعبده ألقى إلهه الأول وعبد الحجر الثاني، كما ثبت في الصحيح، ويتعصبون لها، ويثبِّتون أنفسهم عليها، وأبو طالب هلك على الكفر بسبب العصبية، وبعرض متكرر من النبي ﷺ عليه أن يقول: (لا إله إلا الله) وهو يحتضر في آخر حياته، وفي حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه قال: «**لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: يا عم! قل: لا إله إلا الله كلمةً أشهد لك بها عند الله، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية:**

يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ [التوبة:١١٣]**الآية».**

وقال للنبي ﷺ: «**ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**».

واليهود كم عاندوا الحق وهم يعلمون أنه حق يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والنبي ﷺ كانوا يذكرونه قبل بعثته أنه رسولًا، ولما بعث بالدين وصار اليهود يقومون بالعصبية، اليهود تعصبوا للباطل وتعصبوا لكفرهم، فهلكوا قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩].

العصبية خطيرة على الإنسان جدًا، حتى أنهم لا يريدون المسلمين خيرًا بسبب العصبية قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]، فهم متعصبون ممتلئون باطلًا وعنادًا، قال الله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم

مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة:١٠٥].

ثبت عن عاصم بن عمر بن الخطاب أنه قال: إنا كنا أهل أوثان، وكانوا أهل كتاب، وكان بيننا وبينهم ثأر، فإذا اقتتلنا معهم قالوا: هذا أوان نبي يبعث نقاتلكم معه، هكذا في رواية، ولما جاء رسول الله ﷺ من العرب أبوا أن يؤمنوا به، وأنقذ الله الصحابة رضي الله عنهم ومن أراد الله له الإيمان.

وأنزل الله في اليهود: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٨٩]، وتعصبوا حتى غلوا في دينهم قال الله عز وجل: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٧٧]، لما كانوا في غزوة تبوك كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال بعض الأنصار: يا للأنصار! وقال بعض المهاجرين: يا للمهاجرين! فخرج النبي

ﷺ فقال: «**ما بال دعوى أهل الجاهلية وأنا بين أظهركم؟! دعوها فإنها خبيثة**».

كم أفسدت العصبية على الناس من عقول ومن قلوب وأفكار، أفسدت دينهم وأخلاقهم ربما يتعصب للباطل وهو يعلم أنه باطل قال الله جل في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء:١٣٥].

ولهذا ربى رسول الله ﷺ أصحابه من أول أمرهم على التجرد للحق، والابتعاد عن العصبية، ووضع دماء الجاهلية تحت قدمه؛ حتى لا تنبعث عصبية وكل واحد يتعصب لقريبه، وقال النبي ﷺ في حديث أبي سفيان قال: «**فما يأمركم؟ قال: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم**».

الآباء الأولون الذين كانوا على الجاهلية من التعصب الذميم، اتركوا هذا، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [نوح:٢٣-٢٤].

وبالعصبية قالوا لنبي الله هود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [هود:٥٤].

إن العصبية جلبت كل بلية، وأهلك بها جل البرية من يهود ونصارى ومشركين وقوم نوح وقوم هود وغير ذلك، يتعبدون لأوثانهم وأحجارهم.

ورسول الله ﷺ رباهم على ترك ما يقول آباؤهم وترك الجاهلية، قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ * قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف:٢٣-٢٤].. معناه: حتى لو جئتكم بأهدى فإنكم تردونه، قال الله عز وجل: ﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ * فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف:٢٤-٢٥].

انتقم الله منهم بسبب عصبيتهم الباطلة، ورسول الله ﷺ يخبر أن من قاتل الكفار ولو كان مع المسلمين يقاتل الكافرين لعصبية وراية عمية أنه من أهل النار، فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

عن النبي ﷺ أنه قال: «**من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية**».

العصبية سبب من أسباب الولاء والبراء، انظروا إلى الذين يتعصبون للمذاهب كيف يبتعدون عن الحق كثير منهم، والذين يتعصبون للحزبيات ربما يخاصم أباه ويخاصم أمه ويخاصم أخاه ويخاصم أقرب قريب له،

عصبية وتعصب وكبر منه؛ فلهذا هذه دعوة منتنة، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقا إلى الجنة، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**قيل: يا رسول الله! من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم**».

وثبت عند أبي داود رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن عمرو بن أقيش كان له ربا في الجاهلية فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أحد فقال أين بنو عمي؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد، قال: فأين فلان؟ قالوا: بأحد، فلبس لأمته وركب فرسه ثم توجه قبلهم، فلما رآه المسلمون، قالوا: إليك عنا يا عمرو، قال: إنني قد آمنت، فقاتل حتى جرح فحمل إلى أهله جريحًا فجاءه سعد بن معاذ، فقال: لأخته سليه: حمية لقومك أو غضبًا لهم أم غضبا لله؟

فقال: بل غضبا لله ولرسوله، فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة؛ لأنه قاتل لله، وكم أفسد الشيطان من أناس قاتلوا بحمية الجاهلية عصبية

الجاهلية قال رسول الله ﷺ: «**سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**».

ومن الناس من يدعو إلى حمية قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الفتح:٢٦].

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد آخى النبي ﷺ بين أصحابه المهاجرين والأنصار، إلغاءً للعصبية، وإلغاء لإعلام الجاهلية، وممن آخى رسول الله ﷺ بينهم: عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، قال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالًا فأقسم مالي نصفين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها. قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن.

الشاهد من ذلك فعل رسول الله ﷺ قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].

ويقول الله جل في علاه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٢]

والله! لا يفلح إنسان باتباع الهوى، إن العصبية من الهوى تعمي وتصم قال الله عز وجل: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧].

وإن التعصب للهوى قد يؤدي إلى عبادة غير الله، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣].

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالًا، يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم**».

وثبت من حديث بلال بن الحارث المزني أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب**

الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه».

فهذا قال الحق، فنجاه الله بكلمة واحدة، والآخر قال الباطل تعصبًا للباطل، فأهلكه الله بكلمة واحدة، فكيف بمن كانت حياته كلها مع العصبية.

الآيات وأسباب هلاك الأمم

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن لله تبارك وتعالى في عباده سنن يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا * سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٦٠-٦٢].

ويقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح:٢٢].

سنة الله عز وجل في الماضين والباقين، في الأولين والآخرين، لا تتغير ولا تتبدل، وربنا الله تبارك وتعالى يقول في كتابه الكريم مبينًا سننه في الصالحين وسننه في الفاجرين الكافرين، وسنة الله عز وجل في الصالحين أنهم ينتفعون ويستفيدون ويجتهدون ويزدادوا إيمانًا بالآيات والعبر، وسنة الله في الكافرين والفاجرين أنهم يضنكون: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم مبينًا ذلك: ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٩-٢٦٠].

قال الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:٧٧-٧٩].

الآيات والذكرى تنفع المؤمنين قال الله جل في علاه: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥].

ولا يزداد أهل العتو بالآيات إلا بلاء وشرًّا قال الله جل جلاله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:١٢٧].

وقال قبلها: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ * أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤-١٢٦].

ما يزدادون إلا عتوًا، إن الله عز وجل يرسل بالآيات تخويفًا يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩].

إن ما يحصل من حياة وموت وصحة، ومرض وجبال وأحجار وأنهار وسحاب وزلازل وفيضانات وبراكين وغير ذلك مما يحصل في هذا العصر أمر من الله جل في علاه، آيات قال الله جل جلاله: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، فمن الآيات ما يكون تخويفًا، ومن الآيات ما يكون -كما قال ابن مسعود رضي الله عنه- عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن تذكر، يقول الله عز وجل مبينًا سننه في كل من عصى رسله قال الله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ

مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ [ص:١١ـ١٤].

يا أيها العصاة! يا أيها المتمردون على الله! إن هذه سنة الله فيكم وفي أمثالكم قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ * بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر:٤٣ـ٤٦].

وقال الله جل في علاه: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ * إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ * وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:٤٨ـ٥١].

هل من يتذكر ومن ينتبه ومن يتخذ العظة والعبرة؟ يقول الله جل جلاله: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ * وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ * أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٢ـ١٦].

فالله عز وجل ما يعجزه من شيء قال الله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ

يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:٤٢-٤٣].

وقال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:٤٤].

هذه سنن يجريها الله تعالى ثم يهلكهم على شرهم، قال الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَـٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف:٥٩].

قرى هائلة، قرى بأكملها قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ﴾ [القصص:٥٨-٥٩].

سنة الله في خلقه أن هؤلاء الفجرة المجعجعون في الإذاعات بما يسمونه بالحوادث الطبيعية، هذا منهم افتراء على الأدلة الشرعية، هذا منهم سوء أدب مع رب البرية، هذا منهم كذب على الله جل في علاه وعلى دينه الحق،

ألا فليتقوا الله وليقولوا قولًا سديدًا، آيات الله جل جلاله كلها من ليل ونهار وشمس وقمر قال لله عز وجل: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

هذه كلها آيات من الله يخوف الله بها عباده قال رب العزة والجلال: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر:١٦].

ولما خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ خرج يجر رداءه، ولما صلى بهم وخطب كسوف الشمس والقمر: «**هما آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة**» وجاء في البخاري من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال الله عز وجل: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر:٢٩].

جاءه الرسول فأعرض عنه، وابتعد عن دين الله الحق قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ۞ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۞ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۞ أَوَأَمِنَ

أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف:٩٤-٩٩].

وقال الله عز وجل: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ * وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الملك:١٦-١٨].

هذه من سنة الله في خلقه قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ * وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ * فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٣٨-٤٠].

هذه آيات الله وسننه في خلقه يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ * فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ * أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ * إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ * فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ

فَعَقَرَ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ * كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ * نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ [القمر:٢١ـ٣٥].

وقال الله جل في علاه بعدها: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٤٢].

سنة الله في المكذبين بآياته قال الله جل جلاله: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:٢١١].

وقال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٣٠ـ١٣١].

آيات من الله فيقابلونها بالجحود، فيأخذهم الله تبارك وتعالى قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ

لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا * ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَـٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾ [الكهف:١٠٣ـ١٠٦].

ويقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ * وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ * وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ * فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ * فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ * كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَـٰكِهِينَ * كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان:١٧ـ٢٩].

هذه أسباب الهلاك، هذه أسباب الفتن: الابتعاد عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

ويقول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الزمر:٤٩ـ٥٠].

انتبه أيها المسلم أن يصيبك ما أصابهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [الزمر:٥١].

سنة الله وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم:٤١].

وقال عز وجل: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [السجدة:٢١].

وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم:٣٣].

وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [غافر:٨٢].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [غافر:٢٢].

بذنوبهم وبكسبهم بما كسبوا، قال الله جل في علاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

وقال الله جل جلاله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:٥٣].

أيها المسلمون جميعًا! احذروا على أنفسكم بطش الله، قال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ * وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود:١٠٢-١٠٤].

إن هذه النعم التي أسداها الله تعالى أقوامًا لهو استدراج لهم من الله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٤-٤٥].

ومن مثل هذه الآية: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا * لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٦-١٧].

إن من معانيها: أن من استقام على الباطل أمده الله ورزقه الله، قال الله جل في علاه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٥٥].

ومن أسباب الهلاك: التهافت على الدنيا، يقول النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث عمرو بن عوف: «**وأملوا ما يسركم، فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**».

والله لقد أهلكت أممًا بأكملها؛ بسبب الافتئات على الحق الابتعاد عن السنة والابتعاد عن الاتباع، ولكم في سنن الماضين عبرة، نعم والله إنها مهلكة قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٥-١٦].

احذر على نفسك من نعمة الله عليك، لا يستجرينكم الشيطان بالنعم فإن النعم قد تكون بلوى قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٦].

مسخهم الله قردة خاسئين، وهذه سنة الله في خلقه: أن من أعرض عن دين الله يأخذه الله، ورضي الله عن عمر بن الخطاب حدثت زلزلة في زمنه

فقال: أحدثتم والله، لئن حصلت زلزلة بعدها لأخرجن من بين أظهركم، ومعنى ذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين لهم أن هذه الزلازل تكون بسبب الذنوب تكون آيات وعبر بسبب الذنوب.

أيها الناس: إن الله جل في علاه أرحم بعباده من أنفسهم، ولولا رحمة الله لأهلكهم قال الله جل جلاله: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [النحل:٦١].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر:٤٥].

ولكن الله تعالى أرحم بعباده، ولاسيما بأهل الصلاح وبأهل التقى وبأهل الخير، وقد يدفع الله عن الأمم شرور كثيرة بأهل الحديث وبأهل القرآن وبأهل العلم بالخير والاستقامة، هذا قدر أهل الخير والاستقامة، ومن لم يعرف قدرهم خذله الله.

إن الذنوب لها آثار على القلوب، ولها آثار على المجتمعات، ولها لآثار على رفع الأمطار، ولها آثار على غلاء الأسعار، ولها آثار على إراقة الدماء، ولها آثار على الفتن، كلها، «**يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم**

يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم فأخذوا بعض ما في بأيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم».

كل هذا حاصل بين المسلمين، يجب عليهم أن يؤوبوا إلى الله جل جلاله، وأن يرجعوا إليه، فإن الآيات فيها عظة وفيا عبرة لمن وفقه الله للاتعاظ والاعتبار.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

انظروا ماذا حصل لقارون الذي ابتعد عن شرع الله، وابتعد عن الاستجابة لرسول الله، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۞ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٧٦-٧٧].

أنعم الله عليه فلم يعرف تلك النعمة، ولم يعترف بتلك النعمة، وقال: (إنما أوتيته على علم عندي).

قال الله عز وجل مخبرًا عنه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةً وَأَكۡثَرُ جَمۡعًاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ❁ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ❁ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ❁ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ❁ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [القصص:٧٨-٨٢].

فهذا دليل على أن أهل الترف، أو على أن أهل الابتعاد عن شرع الله عواقبهم خسرًا وعواقبهم إلى الهلاك قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَذَاقَتۡ وَبَالَ أَمۡرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمۡرِهَا خُسۡرًا﴾ [الطلاق:٩].

فالخسارة كل الخسارة في عدم الاستجابة لله ولرسوله، الخسارة كل الخسارة هي ما يحصل بين الناس من إشاعة البدع لخرافات والديمقراطية والانتخابات، هذه والله من أسباب الانتقام، وأهل العلم يصرخون صراخًا في تحريم ذلك والناس كثير منهم معرض عن ذلك، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ❁ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرًا ❁ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا

وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ * وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه:١٢٤ـ١٢٧].

قال الله جل في علاه: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام:١٠٩ـ١١٠].

الاتباع من الله ورسوله، وهم معرضين قال الله جل جلاله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ * وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ * وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [الأنعام:١ـ٤].

هذا شأنهم قال الله عز وجل: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ * فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء:١١ـ١٣].

هذا عباد الله هذا شأن المعرضين عن ذكر الله، وعن شرع الله، أنهم أصحاب تمادي، وأنهم أصحاب فتن، وأنهم أصحاب تعالي، فانتظر حتى

يأتيهم بأس الله سبحانه قال الله تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت:١٦].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ * كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٥ـ٢٦].

أيها المسلمون: عليكم أن تثقوا بالله عز وجل، وأن تتوكلوا على الله تبارك وتعالى، وأن تكونوا مع الله سبحانه وتعالى، وأن تكونوا تائبين إلى الله ومتبعين لسنة رسول الله ﷺ فإن ذلك هو الذي ينفع ـأعني من المعاصي على أصحابهاـ فإن النبي ﷺ قال: «**إن نبيًّا فيمن كان قبلكم أعجبته أمته فقال: لن يروم هؤلاء شيء، فأوحى الله إليه أن خيرهم بين إحدى ثلاث: إما أن أسلط عليهم عدوًا من غيرهم فيستبيحهم، أو الجوع، أو الموت، قال: فقالوا: أما القتل أو الجوع فلا طاقة لنا به، ولكن الموت، قال رسول الله ﷺ : فمات في ثلاث سبعون ألفًا، قال: فقال: فأنا أقول الآن: اللهم بك أحاول، وبك أصول، وبك أقاتل**».

ويقول الله جل في علاه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣].

وقال الله جل جلاله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:٢٥].

وقال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣].

قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:٤].

تفكر -يا مسلم- في هذه الآيات آيات يوم القيامة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:١-٢].

ويقول تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ * وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ * بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة:١-٤].

ويقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٦].

ويقول الله تعالى مبينًا أهوال يوم القيامة: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ * لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ * تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ * فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا * إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا * وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا * يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ * وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ * وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا﴾ [المعارج:١ـ١٠].

ويقول الله جل في علاه: ﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ * فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ * وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ * وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ * وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ * مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ * يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا * وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا * فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ * ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ * يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ * ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الطور:١ـ١٦].

هذه آيات، وهذه يتذكر فيها المؤمن تلك الآيات في يوم يقول فيها الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ * وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ * مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ * وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النمل:٨٧ـ٩٠].

وقال الله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨].

فهذه أهوال عظيمة يفر المرء فيها من أبيه وأمه وأقرب قريب إليه، كما أبان الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ * وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:١-٨].

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ * وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ * بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير:١-١٠].

هذه الآيات فيها أهوال عظيمة، يتذكر الإنسان هذه الأهوال يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ * مَا ٱلْحَآقَّةُ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ * وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ

وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۞ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۞ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۞ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١ ـ ١٢].

قال الله جل في علاه: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۞ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۞ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۞ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۞ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۞ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۞ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۞ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢١ ـ ٣٠].

نسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه.

كشف التلبيس والكذب في قول الصوفية: لا يوجد شرك في جزيرة العرب

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله جل جلاله في كتابه الكريم: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:٣٦].

ويقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام:١٥١].

ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

في هذه الآيات بيان حق الله تبارك وتعالى ألا وهو توحيده، فهذا أعظم حق لله على عباده، فإن توحيد الله حق لله على عبيده، وخلقهم من أجله قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٧].

وخلق الله عز وجل العباد لعبادته وحده دون غيره من المخلوقين، وهذا أمر هام لسائر المخلوقين من جن وانس يعبدونه لا يشركون به شيئًا،

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

فهذا موعود به من عبد الله لا يشرك به شيئًا، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال الله جل في علاه: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۞ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٥-٥٦].

هذه الأدلة وكل كتاب الله، القرآن كله من أوله إلى آخره توحيد ومدح أهل التوحيد، وبيان لما أعده الله لأهل التوحيد، وذم الشرك وأفعال المشركين وأقوالهم البائرة، وبيان ما أعده الله للكافرين والمشركين، فمن قال في هذه الأزمان وفي غيرها أنه لا يوجد شرك في الأرض فإن مؤدى كلامه هذا أن القرآن ليس بحق أو أن القرآن كله منسوخ أو أن القرآن يصلح لزمان دون آخر، أو أن القرآن ليس لكل لهذه الأمة، فإن هذه الكلمة خطيرة ترد على رب العالمين، وعلى رسوله الأمين، ويا لها من كلمة يروجها أناس يدعون الإسلام أنه لا يوجد شرك في هذه الأزمنة بعد موت النبي

ﷺ، لا يوجد شرك هكذا يقولون، واسمع إلى أدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكل كتاب الله وكل سنة رسول الله ﷺ رد على من ضل من أهل الهوى والباطل وزاغ، قال الله جل جلاله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [آل عمران:٦٤].

الكفار مشركون أم لا؟ لهذه الآية كل اليهود والنصارى مشركون بالله سواء كانوا في جزيرة العرب أم لم يكونوا في جزيرة العرب، مشركون بالله قال عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٠-٣١].

أبان الله أنهم مشركون، والله تعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨].

وفي الآية الأخرى قال الله جل في علاه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

وإن أعظم الذنوب: الشرك بالله، فمن نفى الشرك بالله في الأرض فقد رد الأدلة في الأزمنة القادمة، فالله قد حذر منه، ورسول أرسله الله إلا وكان يدعو قومه إلى عبادة الله عز وجل ويحذرهم من الشرك به، قال الله جل جلاله: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

في زمنه أو في حياة الأنبياء فقط؟ إن الله لا يرضى أن يشرك به في الأرض ولا في السماء، دين الله عز وجل واحد يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

إن من يقول تلك الكلمة: أنه لا يوجد شرك في الأرض يلزمه أن يرد هذه الأدلة على أن هذا القول ..، وأنه لا يوجد شرك، وأن الناس كلهم يعتبرون موحدين، في هذا كلام خطير جدًا، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**قال: اجتنبوا السبع الموبقات**» هذا الأمر شامل في حياته وبعد موته وبدأ: «**بالشرك بالله، ثم السحر، وقتل**

النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

الشرك بالله حذرهم منه قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

فالشرك بالله كما ثبت من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **«لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله! أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان: لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣]»**.

ففسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظلم هنا بالشرك، وكل من آمن بالله جل في علاه فهو آمن فمعنى ذلك أن من آمن بالله وابتعد من الشرك أنه آمن، هذا يدل على كل مؤمن أن من آمن ولم يلبس إيمانه بظلم فهو آمن، وإن من كان عليه شيء من ظلم فإنه ليس بآمن، أبعد هذه الأدلة في بيان يقال أنه لا يوجد شرك؟

فنبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام خاف على نفسه منه، وحذر ذريته من الشرك، وهؤلاء الضلال ضلال الصوفية يقولون: إن الشرك لا يوجد ولا يخافون على أنفسهم، في الأرض نبي الله إبراهيم يقول: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ۞

رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦].

وهكذا نبي الله ﷺ جاء رجل فقال: «**يا رسول الله! ما الموجبتان؟ قال: من مات لا يشرك بالله عز وجل شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله دخل النار**».

هاتان الموجبتان كما روى الإمام مسلم في صحيحه: «**من مات لا يشرك بالله عز وجل شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله دخل النار**».

وفي الصحيحين من حديث معاذ رضي الله عنه قال: «**كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير، فقال: يا معاذ! هل تدري حق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟**» أهذا الحق كان على عهد النبي في حياته أم هذا الحق لله دائم؟ أم على حد قول هؤلاء الناس الضلال: «**ما حق الله على عباده؟ وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا، فقلت: يا رسول الله! أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا**».

إن هذا القول -أقصد للصوفية- لهو جرم: أن الشرك انتهى الآن، هذا رد أدلة الشفاعة وأمر الشفاعة حاصلة حتى لمن أشرك بالله جل جلاله، فإنه قيل للنبي ﷺ: «**أي الناس أسعد بشفاعتك؟ قال: من مات لا يشرك بالله شيء -وفي رواية- من قال لا إله إلا الله صدقًا من قلبه**». ومعنى ذلك:

أن من قال: لا إله إلا الله ولم يعمل بمقتضاها لا يدخل الجنة، قال الله عز وجل: ﴿مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر:١٨].

وإن الشفاعة لا تكون إلا لأهل التوحيد، قال ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله صدقًا من قلبه دخل الجنة، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه**» هذا إذا لم يشرك، وإلا فإن الشرك محبط للأعمال، فقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥-٦٦].

فهكذا يوجه الله أفضل خطاب لأفضل خلقه ﷺ، ويقولون: انتهى الشرك في الأرض! ويقول الله عز وجل في سورة الأنعام بعد أن ذكر جملة من الأنبياء: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

هذا حق خالص لله تعالى، خلق البرية من أجله قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

ويقول: ﴿مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان:٣٩].

فأعظم حق على العباد قال: يعبدوه لا يشركوا به شيئًا، هذا الحق العظيم لله تبارك وتعالى، يعتدي عليه ويغرر بالجهال ويغرر بالأغبياء، ويغرر بعباد الله المسلمين في بلد المسلمين أنه قد انتهى، وأنه لم يبق شرك

وترد هذه الأدلة قال النبي ﷺ: «**بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**».

جاهد النبي ﷺ المشركين جهادًا كبيرًا، وهؤلاء يريدون أن يعيدوا الوثنية، و«**من تشبه بقوم فهو منهم**».

وكان النبي ﷺ يقول لأصحابه: «**اغزوا باسم الله، في سبيل الله تقاتلون، من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا وقل ذلك لجيوشك وسراياك إن شاء الله والسلام عليك**».

إن هذه المقولة فيها تحطيم الإسلام وللجهاد، فأعظم حق لله سبحانه وتعالى هو توحيد الله، وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: من عمل حسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن عمل سيئة فجزاؤها مثلها أو أغفر، ومن عمل قراب الأرض خطيئة، ثم لقيني لا يشرك بي شيئًا جعلت له مثلها مغفرة، ومن اقترب إلي شبرًا اقتربت إليه ذراعًا، ومن اقترب إلي ذراعًا اقتربت إليه باعا، ومن أتاني يمشى أتيته هرولة، يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيك بقرابها مغفرة لا يشرك بي شيئا**».

هذا الخطاب خاص فقط بمن على زمن النبي ﷺ أم هو إلى قيام الساعة؟ قال النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا**

يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك -وليس في حديث قتيبة وهم كذلك-».

وقد جاء بنحوه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «**يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيك بقرابها مغفرة**».

وفي الصحيحين من حديث عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**».

هذا دليل على من آمن بالله عز وجل في كتابه، ومن تلك الحقوق توحيد الله فإن من أنكر ذلك فويل له والله، وإن لم يتب إلى الله عز وجل فالله جل في علاه قد أرسل رسله وأنزل كتبه لبيان حقوق الناس، قال الله جل جلاله: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٧].

ولفظة (يدع) من ألفاظ العموم إلى قيام الساعة في كل أمة وفي كل عصر، وفي كل وقت، وفي كل حين، من الذي خصص هذه الأدلة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ويقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ

ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴾ [الحج:٧٣].

هذه الآية وأمثال هذه الآية فيها أنه يوجد شرك بالله تعالى، وفي حديث الحارث الأشعري عند أحمد وغيره أن نبي الله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل أمر يحيى بن زكريا عليهما السلام بخمس كلمات: أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن وكاد أن يبطئ فقال له عيسى: إنك قد أمرت بخمس كلمات: أن تعمل بهن وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن، وإما أن أبلغهن، فقال: يا أخي! إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي، قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشرف، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن: أولهن: أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئًا، فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده فأيكم سره أن يكون عبده كذلك**».

انظروا إلى هذا المثل العظيم في هذا الحديث العظيم، فإن الله جل جلاله لا يرضى أن يشرك به في أي زمان ويقول الله عز وجل في الحديث القدسي: «**من عمل عملًا أشرك فيه غيري تركته وشركه**».

وقال رسول الله ﷺ: «**يا رويفع! لعل الحياة ستطول بك بعدي، فأخبر الناس أنه من عقد لحيته أو تقلد وترًا أو استنجى برجيع دابة، أو عظم فإن محمدًا ﷺ منه بريء**» والحديث ثابت عند أحمد وغيره.

رأى ابن مسعود في عنق امرأته خرزًا قد تعلقته من الحمرة فقطعه وقال: إن آل عبد لأغنياء عن الشرك، سمعت النبي ﷺ يقول: «**من تعلق شيء فقد أشرك، أو قال رضي الله عنه إن التميمة والتولة من الشرك**» حين رأى ذلك الخرز في تلك المرأة هذا يدل على أن الشرك محارب في زمن النبي ﷺ، وبعد موت النبي ﷺ، وفي كل الأزمان.

رأى النبي ﷺ على رجل تميمة أو شيء قد علقه يريد أن يبايعه، فأمسك النبي عن مبايعته حتى خلعه، وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه: «**ا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان ويلحقون بالمشركين**» من حديث أنس رضي الله عنه: «**فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ**».

وثبت أنه قال الأحوص عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس**».

وهل هناك أشر ممن أشرك بالله؟ الله عز وجل يدل على أن الساعة تقوم على مشركين، على عبدة الأوثان على كفار، على شرار الخلق، وهكذا النبي

ﷺ يقول: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**».

فدل هذا على أن الشرك يكون في المشركين، وأنه يزداد من حين إلى آخر حتى لا تقوم الساعة إلا على هذه الأصناف من المشركين، والنبي ﷺ يقول لابن عباس: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله**»، هذا أمر ليس له فقط، ولكن له ولسائر الأمة، ثم دعاهم النبي ﷺ قال الله تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:٦٤].

ثم قال ﷺ: «**وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**».

هذا معطل عند هؤلاء الفجرة، عند هؤلاء المشركين الفجرة، هذا معطل كلها معطلة، وفي الصحيحين من حديث أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه: «**أن هرقل قال: فما يأمركم؟ قال: ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيء، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة**».

هذا أمر من الله سبحانه وتعالى لنبيه ولسائر أنبيائه يأمر قومه بذلك قال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢١].

فإن من أشرك ومات على شركه مآله النار وبئس القرار، قال النبي ﷺ فقال الله تعالى للجنة: «**أنت رحمتي، وقال للنار: أنت عذابي أصيب بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها**» وهذه الأدلة جاءت للذي يستحق الجنة والذي يستحق النار، أما حديث: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم**» فهذا الحديث يكون في آخر الأمر.

يا بلاد الصوفية!

اسمعوا كلام أهل العلم في هذا الحديث العظيم يقول أهل العلم: إن الشيطان يئس من رحمة الله، فليس للناس على الشيطان مبالاة، هذا قول.

القول الثاني: إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، أي: أنه لا يكون جزيرة العرب يعبدون غير الله فيها، من أهل العلم من قال هكذا، «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**» فليس أبدًا أن تكون على الشرك بعد رسول

الله ﷺ، لا تكون جاهلية في جزيرة العرب بعد زمان النبي ﷺ، وأن الشرك ثابت بالقرآن والسنة، ولكن لا يجتمعون على ذلك البتة فإن الله حافظ دينه قال الله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

المعنى الثالث: أن لم تزل صلاتهم تنهاهم عن الفحشاء والمنكر قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

فدل على أن محبوط العمل لا تنهاه صلاته عن الفحشاء والمنكر، وليس بمصل، ولا يدخل تحت هذا الحديث، إن النبي ﷺ ما ينطق عن الهوى، يقول: «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون**» الذين صلاتهم تنهاهم عن الفحشاء والمنكر أما غيرهم فمحبوط العمل، قال الله جل جلاله: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣].

اهجروا هؤلاء القوم.. ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الصف:٥].

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فسبق القول بأن هذا القول قول ليس بصحيح، ومعنى ذلك أن هذه المقولة ترد القرآن وترد السنة، وأنها ترد على السلف جميعًا فأبو بكر وسائر الصحابة رضي الله عنهم جميعًا قاتلوا الذين عبدوا الأوثان وارتدوا عن الإسلام، وقد استدل أهل العلم عند هذا الحديث فقال «**والله! لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها**».

وهكذا قاتل أبو بكر الذين ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ ومنهم عبدة الأوثان فمنهم من أسلم ومنهم من أتبع مسيلمة إلى آخر ذلك..

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩].

﴿ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء:٧٨]

فما لهم لا يهتدون بالكتاب والسنة؟!! نسأل الله السلامة والعافية مما يقولون ويفعلون ويتلفظون.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.. والحمد لله رب العالمين.

العز والتمكين
لمن نفذ وصية رب العالمين

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

هذه وصية من الله تبارك وتعالى يجب تنفيذها ومن نفذ هذه الوصية العظيمة من الله عز وجل فإن بركة تنفيذ هذه الوصية عائد إلى منفذها.

تنفيذك لهذه الوصية العظيمة التي أوصى الله جل في علاه بها الأولين والآخرين ممن أمرهم الله وأوجدهم وأوجب عليهم إقامة هذا الدين يقول الله جل جلاله في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد:٢٨].

من نفذ هذه الوصية عاش في نور قال الله عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢].

وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠].

من نفذ هذه الوصية يفتح الله عليه بالعلم قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢].

من علم ولم ينفذ هذه الوصية فإن علمه يصير حجة عليه، قال النبي ﷺ: «والقرآن حجة لك أو عليك»، وقال الله جل في علاه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:٥].

وقال الله جل جلاله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف:١٧٥].

لما آتاه الله الآيات انسلخ منها وانسلخ من العلم قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦].

إن من نفذ هذه الوصية العظيمة كان على بصيرة من حياته بل يكون موفق بعد مماته بإذن الله تعالى قال الله جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ * وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١-٢٠٢].

تنفيذ هذه الوصية شرف عظيم من الله عز وجل فرج من الله يجعله لمن نفذ الوصية قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۞ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق:٢-٣]، مخرج من كل ضيق وفتنة.

تنفيذ هذه الوصية من أسباب البركة في الأرض قال الله جل في علاه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦].

من نفذ وصية الله فقد ضمن الله له التمكين يقول الله جل جلاله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

هذه ضمانة من الله عز وجل لمن نفذ هذه الوصية العظيمة قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا﴾ [النساء:١٣١].

إن وصايا بني آدم التي لا تخالف الكتاب والسنة واجب تنفيذها يقول الله تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [البقرة:١٨١].

فما بالكم بوصية رب العالمين للأولين والآخرين العائدة بكل خير على الإنسان المنفذ لهذه الوصية، قال النبي ﷺ عن ربه عز وجل: «**يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**».

تنفيذ هذه الوصية حصن من كيد الأعداء يقول: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠].

تنفيذ هذه الوصية خير لباس في هذه الدنيا من ... من الله عز وجل: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦].

تنفيذ هذه الوصية أعظم زاد للإنسان في هذه الدنيا ويوم القيامة ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة:١٩٧].

نفذ وصية الله سبحانه وتعالى تفوز وتسعد بها في الدنيا والأخرى، قال الله جل في علاه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥٢].

فعلم من ذلك أن من أسباب التمكين في الدين تنفيذ وصايا رب العالمين جل جلاله وأن من لم ينفذ وصايا رب العالمين أنه يخفر نفسه وتفوته

هذه الخيرات أيضًا ومن وصايا رب العالمين لعباده المرسلين أوصاهم والوصية لهم ولأممهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أن يقيموا هذا الدين يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣].

هذه المسألة.. إقامة الدين من أعظم ما يكون على الكافرين والمشركين أشد عليهم من الضرب وأشد عليهم من القتال وأشد عليهم من كثير من الأمور فإنهم كانوا لا يخافون المسلمين من غير ذلك لاسيما في هذه الآونة ولكن إقامة الدين أشد على الكافرين وإقامة الدين الذي أمر الله تعالى به بتنفيذه والذي أمر الله تعالى بها أن يقيم الإنسان الدين في نفسه يقيم الدين في لسانه وأقواله وأعماله في لحيته في مجلسه في .. أعماله في معاشرة أهله في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر في إقامة توحيد الله سبحانه وتعالى قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة:٢٠٨].

أمرهم بالإيمان ما داموا مؤمنين وأمرهم أن يدخلوا في السلم كافة يدل ذلك أن إقامة الدين مصدر كل صغيرة وكبيرة منه فما أرسل رسولًا ولا بعث نبي إلا ليقيم دين الله عز وجل ونحن أتباع المرسلين يجب علينا إقامة الدين كما أمر الله بذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ

بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣].

وهذا أمر لكل فرد وجماعة ولكل مسلم ومسلمة ولكل حر وعبد ولكل صغير وكبير من الكلفين هذا أمر من الله تبارك وتعالى بإقامة الدين هذه وصية رب العالمين إلى أولي العزم من المرسلين أن يقيموا الدين وكل نبي يقيم الدين في نفسه وفي قومه بالدعوة إلى الله والصبر على اللأواء والبأساء أمر لكل فرد. قال سبحانه وتعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٣].

فإن التفرق في الدين يسبب الفتن ويضعف القوى قال الله جل في علاه: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال:٤٦].

هكذا يقول الله جل جلاله وقال الله عز وجل: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم:٣١-٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

أقيموا الدين يجب على كل مسلم ومسلمة أن يشعر بهذه المسؤولية على كاهله.. إقامة الدين فإن الدين واجب الجميع ليس خاصًا بالعالم وليس خاصًا بالطالب وليس خاصًا بالرجال وليس خاصًا بالإنس بل على جميع المكلفين من رجال ونساء وجن وإنس وليس خاصًا أيضًا بالأمير دون المأمور بل على كل من يستطيع ذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ﴾ [الشورى:١٣].

إن هذا الدين كامل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة:٣]، ويقول جل وعلا: ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام:٣٨].

ويقول ﷺ: «**تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»، وقال ﷺ: «**إن لكل عمل شرةً ولكل شرة فترة فمن كانت شرته إلى سنتي فقد أفلح ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك**».

دين كامل لا يحتاج إلى مزيد عليه الميزة الثانية دين كامل للجن والإنس والرجال والنساء والعرب والعجم دين شامل يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، ويقول ﷺ «**بعثت للأحمر والأسود**».

وكان يقول «: **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأحلت لي المغانم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**».

وقال ﷺ : «**والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»، دين شامل لا يخرج منه أحد من خرج عن هذا الدين فهو كافر .. في الدنيا والآخرة من الخاسرين قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣٢].

ليس من نبي ولا رسول إلا ويدعو إلى الإسلام بالمعنى العام، وأما بالمعنى الخاص الذي في هذه الشريعة؛ فإن الإسلام لا يكون إلا لهذه الأمة ولا يكون إلا لهذا النبي وأمته ﷺ ؛ لأنه ناسخ لجميع الأديان قال الله جل في علاه: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ

ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ [المائدة:٤٨].

الميزة الثالثة الدوام وبقاء هذا الدين لا ينسخه دين من الأديان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يقول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**».

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ،اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا أما بعد؛

فإن من إقامة الدين الثبات على هذا الإسلام كما أخبر الله عز وجل عن نبيه إبراهيم قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۞ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣٢].

هذه وصية الأنبياء لقومهم ولأبنائهم وخواصهم قال الله جل في علاه: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾ [البقرة:١٣٢]، أي: اثبتوا عليه واستمروا عليه وارضوا به ولا ترضوا بغيره قال الله جل جلاله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾.

ومن إقامة الدين ما ثبت من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «**وعظنا موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا، فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًّا**»، هذه وصية عظيمة، قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

هذه وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣-٤].

ومن وصايا رب العالمين الله سبحانه وتعالى... ما ذكره الله عز وجل في آية الحقوق العشرة، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١].

من أجل أن يعقلوا دين الله؛ وصاهم بهذه الوصية الثانية في هذه الآية قال الله جل في علاه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ

فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٢].

والوصية الثالثة قال الله جل جلاله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

ألا فليعلم أن من لم يتبع الصراط المستقيم الكتاب والسنة أنه في منأى عن التقوى ومنأى وبعد عن كل خير في الدنيا والأخرى ومن وصايا رسول الله ﷺ التي ... ابن مسعود في هذه الآيات قال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد أن ينظر إلى وصية رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ هذه الآيات قال الله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام:١٥١].

وقال الله عز وجل: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف:١٥].

وقال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان:١٤].

ومن وصايا النبي ﷺ لنا بعدم الغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن جارية بن قدامة قال للنبي ﷺ : أوصني. قال: «**لا تغضب**» . فردد مرارا قال: «**لا تغضب**».

ومن وصايا رسول الله ﷺ لنا بإقامة شعائر الله وشعائر دين الله من واجبات ونوافل وغير ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه: «**أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر**». وبنحوه من حديث أبي ذر عن ﷺ .

ومن وصايا رسول الله ﷺ بالصلاة: «**الصلاة وما ملكت أيمانكم**».

وقد وصى الله سبحانه بذلك نبيه عيسى عليه السلام قال الله عز وجل مخبرًا عنه: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ❁ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ❁ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ❁ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ❁ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم:٢٧-٣١].

ألا فيا أيها المسلمون: يجب علينا أن نحقق ما وصانا الله به فإن الإنسان إذا أوصاه قريبه سارع في تنفيذ ما وصى به؛ لأنه لا يجوز له تغييرها إن كانت شرعية، فوصايا الله تبارك وتعالى ووصايا رسوله ﷺ يجب تنفيذها،

ومن لم ينفذ ذلك فإنه يخسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر:١٥].

الحيل

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ * هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٥-٦].

يقول الله جل في علاه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ [محمد:١٩].

ويقول الله جل جلاله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة:٧].

ويقول: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ * وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٦٦-٦٧].

ويقول الله عز وجل: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام:٥٩].

ويقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ﴾ [العاديات:٩-١١].

ويقول الله عز وجل: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود:٥].

ففي هذه الآيات ونظائرها من كتاب الله عز وجل ومن سنة نبيه ﷺ دليل على وجوب مراقبة الله عز وجل في السر والعلن والظاهر والباطن قال الله عز وجل: ﴿ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ * وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ * وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ * وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [فصلت:٢٣].

أيها الناس: إن ضعف المراقبة في جوف الإنسان ليجرئه على معاصي الله تبارك وتعالى وإن مراقبة الله لتبعث في قلب الإنسان الخوف منه والبعد عما

حرم الله سبحانه وتعالى قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ * أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

مسارعة العبد إلى طاعة الله دليل على مراقبته لله الله جل في علاه ومراقبته لله جل جلاله باعث له على الخوف وعلى المسارعة على الخوف من الله والمسارعة في الطاعات إن أمر المراقبة أمر عظيم جدًا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**احفظ الله يحفظك احفظ الله**»، هذه وصية لابن عباس وهي وصية لسائر الأمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: «**يا غلام! إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**»، وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل مراقبة الله إحسانًا والإحسان من أعظم مراتب الدين، كما في حديث جبريل عليه السلام الذي سأل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كالمستفسر، وكان مما سأل عنه قوله: «**فأخبرني عن الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما يبين على أن مراقبة الله عز وجل من أسباب ظل الله العبد في ظله يوم لا ظل إلا ظله قال

رسول الله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**» هذا شاهدنا من الحديث وهكذا ورجل تصدق بصدقة حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه هذان الأمران من أعظم مراقبة الله ويوسف عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى مخبرًا عنه: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣].

فمن مراقبة لله عز وجل في ذلك الأمر العظيم وهو في أمن وهكذا يدعى ويراقب الله ويجتنب تلك المعصية وفي الثلاثة التي وقعت عليه الصخرة كل توسل بعمله الصالح الذي كان فيه محض مراقبة الله سبحانه قال رسول الله ﷺ: «**انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا فنأى بي في طلب شيء يومًا فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر أراد أن يكرم والديه**

وأبى أن يسقي من أهل البيت أحدًا قبلهما مراقبة لله الله عز وجل فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج قال النبي ﷺ وقال الآخر: اللهم! كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم! إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد إلي أجري فقلت له كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت إني لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون».

يقول الله جل في علاه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ

شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [الأعراف:١٦٣-١٦٦].

هذه الحيلة بسببها مسخهم الله قردة وخنازير لأنهم احتالوا على دين الله وهكذا حرم الله عليهم الشحوم قال الله جل جلاله: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۞ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٠-١٦١].

فبظلمهم واحتيالهم حرم الله عليهم كثير من الطيبات قال الله عز وجل: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [الأنعام:١٤٦].

ولما حرم الله عليهم هذه الأمور بذنوبهم عمدوا إلى تلك الشحوم وأذابوها وباعوها وأكلوا أثمانها، وقال النبي ﷺ: «**قاتل الله اليهود لما حرم الله عليهم شحومها جملوه ثم باعوه فأكلوها وإن الله إذا حرم شيء حرم ثمنه**».

وقال ﷺ -كما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بسند جيد-: «**لا ترتكبوا ما ارتكبت يهود فتستحلوا ما حرم الله بأدنى الحيل**» فاليهود احتالوا على دين الله فأهلكهم الله بتلك الحيل المحرمة.

يقول الله تعالى عن أصحاب الجنة الذين احتالوا على حق المساكين وحق الفقراء فدمر الله بستانهم وذمهم: ﴿**سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ * إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ * أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ * فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ * وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ**﴾ إلى آخر الآيات [القلم:١٦-...].

ناس أعطاهم الله بستانًا طيبًا فحاولوا أن لا يدخل عليهم مسكين ولا يخرجون منه صدقة فقاموا . من النوم قبل طلوع الشمس حتى لا يقدم المساكين فلما قدموا على بستانهم وعلى جنتهم تلك من العنب ومن غيره فإذا هي صارت حطامًا ولم يكن فيها شيء من الأثمار كل ذلك بسبب ذلك الأمر وبسبب تلك الحيلة ولا يعطوا منه الفقراء ولو كانت صدقة تطوع.

وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «**ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة**»، نهى أن يجمع الاثنان بين غنمهم حتى لا تجب عليهم الزكاة فإنه ... أربعون من الغنم وذلك عنده أربعون من الغنم يجمعونها في المرعى والمثوى ويعطون شاة واحدة مثلًا إلى أن تصل مئة وعشرين لم يعطوا عليها إلا شاة واحدة وهذا احتيال على

تضييع حق من حقوق الفقراء بينما لو كان لكل واحد غنمه فإنه يؤدي في الأربعين واحدة «**ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة**» أناس مرعاهم ومثواهم سواء ثم إذا جاء أيام الزكاة فرقوه حتى لا تكون لكل واحد أربعين فيعطي واحدة هذه حيلة حذر رسول الله ﷺ وأبان أنها حيلة ممنوعة حرام وبسبب نزول قول. الله عز وجل: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۞ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة:٢٦٧-٢٦٨].

ونظير. هذه الآية ما ذكره البراء بن عازب رضي الله عنه عند الإمام الترمذي قال كان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو (أي: بالنوع الذي ليس طيبًا) قد انكسر فيعلقه فأنزل الله تبارك تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ** ﴾، وقد قال رسول الله ﷺ: «**يا صاحب الطعام! ألا جعلته فوق الطعام ليراه الناس**». قال: أصابته السماء. فقال: «**من غشنا فليس منا**».

لما رأى بلل في الأسفل وطعاما ظاهرًا في الأعلى وهذا في الحقيقة حيلة على أنفاد ذلك البيع في ظاهره السلامة. فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك

وقال رسول الله ﷺ: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو قال حتى يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما**».

إن تلك الحيلة التي يعملها بعض الناس في البيع والشراء من الأغذية أو غير ذلك هي حيلة مذمومة تنزع البركة في ذلك المال وأن أصحاب. الربا. يحتالون على أموال الناس لأكلها بالباطل فيصير ذلك الحيلة محبطة لجميع أموالهم جميعًا قال رسول الله ﷺ: «**ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة**»، كذا قال رسول ﷺ وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٠].

وقال الله جل في علاه: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٥].

وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۞ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

الربا ظلم واخذ لأموال الناس بالباطل وحرمه الله لما فيه من الاحتيال لأموال الناس قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ

﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ من أجل ماذا يعطونها للحكام أمحبة فيهم لا ولكن كما ذكر الله قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٨٨].

فإن الذي يدفع الرشوة لا يدفعها رغبة ومحبة ولكن يدفعها للتوصل إلى أكل مال الغير. بغير حق بالإثم وبالباطل والاحتيال من أجل أن يحكم له بالباطل فحرم الله الرشوة لما يحصل منها من الاحتيال على أموال الناس بالباطل: أن النبي ﷺ استعمل رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية كما في الصحيحين من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه على الصدقة فجاء فقال هذا لكم وهذا أهدي لي فقام النبي ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال «**ما بال العامل نبعثه فيجيء فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي ألا جلس في بيت أمه أو أبيه حتى تأتيه هديته؟ لا يأتي أحد منكم بشيء من ذلك إلا جاء به يوم القيامة إن كان بعيرا فله رغاء أو بقرة فلها خوار أو شاة تيعر**» ثم رفع يديه حتى رأينا عفرة إبطيه ثم قال: «**اللهم! هل بلغت اللهم هل بلغت فيقال يا محمد فأقول قد أنذرت**»، الشاهد من هذا أن النبي ﷺ إنما حرم هدايا العمال لما يحدث في السبب من تلك الهدايا يتوصل إلى أكل أموال الناس بالباطل حرمه وحذر منه رسول الله ﷺ. وأبان هذا الحكم لمن يعيه وهكذا في الأنكحة ما يحصل من بعض الناس في التحليل بحيث أن المرأة إذا طلقت ثلاثًا عمد لإنسان فيتزوجها حيلة لا يريد مكثه معها يقصد بذلك تحليلها للأول قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله المحلل والمحلل له**»،

فهذا ملعون وذاك الذي حلل ملعون التيس المستعار نعم ملعون وقال النبي ﷺ كما في حديث عائشة رضي الله عنها في بيان سبب نزول قول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء:٣]، قالت عائشة: كان الرجل تكون اليتيمة في داره فيعجبه جمالها ومالها فيتزوجها على أقل من صداق غيرها من النساء فنهى الله عن ذلك إلا أن يضرب لها مثل مهر غيرها من النساء هذه حيلة محرمة بحيث أنها تحرم مهرها كاملًا وجاءت .. بنت خذام إلى رسول الله ﷺ تشكو عليه أن أباها زوجها بابن عمها إي بأقل مما يعطى غيرها من المهر فجعل النبي ﷺ أمر النساء إليهن فقال النبي ﷺ: «**لا تنكح الثيب حتى تستأذن ولا تنكح البكر حتى تستأمر**»، حتى لا يحتال عليها بتزويج من لا تريده من أجل قرابة أو من أجل مال، ولا تنكح المرأة إلا بولي حتى لا يحتال على الفروج، قال رسول الله ﷺ كما في الصحيحين: «**إنكم تشترطون شروطًا ليست في كتاب الله، أي شرط ليس في كتاب الله فهو باطل**»، وكل حيلة ليست في كتاب الله ليست شرعية فهي حيلة باطلة، والحكم عليها بأنها باطلة ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني بريرة فقالت: كاتبت أهلي على تسع أواقٍ، في كل عام أوقية؛ فأعينيني. فقلت: (إن أحب أهلك أن أعدها لهم، ويكون ولاؤك لي فعلت). فذهبت بريرة إلى أهلها فقالت لهم، فأبوا ذلك عليها، فجاءت من عندهم ورسول الله ﷺ جالس فقالت: إني قد عرضت ذلك عليهم

فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم، فسمع النبي ﷺ فأخبرت عائشة النبي ﷺ فقال: «**خذيها واشترطي لهم الولاء فإنما الولاء لمن أعتق**» ففعلت عائشة ثم قام رسول الله ﷺ في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد: ما بال رجال يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله ما كان من شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط قضاء الله أحق وشرط الله أوثق وإنما الولاء لمن أعتق**»وثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخبر أن رجلًا حمل معه خمرًا في سفينة يبيعه ومعه قرد قال فكان الرجل إذا باع الخمر شابه بالماء ثم باعه قال فأخذ القرد الكيس فصعد به فوق الدقل قال فجعل يطرح دينارا في البحر ودينارا في السفينة حتى قسمه، وبوب عليه الشيخ رحمة الله تعالى عليه في كتاب الجامع عقوبة الغش في البيع هذا من عقوبة عاجلة تحصل من الاحتيال في دين الله في بيع أو شراء أو معاملة غير شرعية، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من خبب امرأة رجل أو عبده فليس منا**» يخببها ويحتال عليها أنه ذميم أو أن فيه بعض الصفات المذمومة حتى يكره إليها زوجها من أجل أن تفارقه عساه أن يتزوج بها وحرم رسول الله ﷺ النجش وهو أن يزيد في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها حيلة على إغلاء السلعة حيلة على إنفاق السلعة، قال رسول الله ﷺ : «**لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات**

بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»، وحرم بيع العينة والتي هي من أنواع البيوع المحرمة المعلومة ومن أسباب ذل هذه الأمة لأن فيها حيلة غير شرعية فمثلا الذين يبيع شيء بمائتين ثم يقول للمشتري إذا خرجت به إلى السوق . ما سيعطونك إلا ثمانين أنا أشتريه منك بثمانين فتعود له عين سلعته ويكون قد ربح شيء من المال هذا هو بيع العينة قال رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»؛ لأن هذا البيع بيع حيلة يحتال على ذلك المشتري فيأخذ ماله وترجع إليه عين سلعته حيلة ممقوتة وكم في ذلك من الحيل المذمومة في دين الله عز وجلالتي يتعامل فيها الناس الآن في بيوعهم وشرائهم ومعاملاتهم حتى والله في دعوتهم في دعواتهم يحتالون على الناس ويا لها من فضيحة أن تكون دعوة إلى الله مبنية على الاحتيال وعلى المراوغات وعدم الصراحة والبيان قال رسول الله ﷺ: «**إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة عند استه فيقال هذه غدرة فلان بن فلان**» كما في الصحيح.

ومن الاحتيال ـأيها الناسـ ما يعمله كثير من التجار والأثرياء في هذا الشهر وغيره أنه يعطي الزكاة إلى بعض المسئولين، وهو ليس من أهلها، ولكن من باب ساعدني وأساعدك، أي: أنه لا يعطيه إلا لقصد مساعدته في إمضاء تجارته.. ونحو ذلك، كما يفعل بعض الناس؛ هذه حيلة على تضييع

حق المساكين والفقراء أشد من حيلة أصحاب الجنة التي منعوا حقهم قال الله جل في علاه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧].

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ تسليما كثيرا أما بعد:

فقد ثبت من حديث أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله ﷺ: «**ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها. يعزف على رءوسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير**»، تلك الحيلة لا تغني شيئًا أن يسمى الخمر ليس بخمر أو يسمى الربا بالمكاسب والفوائد أو يسمى.. والمخادعات في السياسة وفي الحقيقة.. لكنها مذمومة أو يسمى ما يتعلق بالبدع والخرافات دينًا تلبيسًا وتزويرًا على المسلمين فليتق الله امرؤ في نفسه قال رسول الله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما جاهر إليه**».. قال الله جل جلاله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا

مَّدۡحُورٗا ۞ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴾ [الإسراء:١٨- ١٩]، وقال الله عز وجل: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [هود:١٥-١٦].

الحيل المحرمة محدثة في دين الله قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» محدثة بدعة لا يحل فيها لا بيع ولا شراء ولا عمل من الأعمال بل هي من المحرمات ومن التشبه باليهود الذين لعنهم الله وذمهم بذلك قال الله تعالى: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ۞ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة:٧٥-٧٦].

انظر على احتيال يحتالون به على دين الله عز وجل فذمهم الله جل جلاله وقال الله عز وجل في كتابه الكريم مبينًا حيلتهم: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [آل عمران:٧٢].

هذه حيلة على ردة الناس وعلى إبعاد الناس من عن دين الله الحق بحيث أنهم يظهرون الإسلام والإيمان في النهار أمام الناس ثم إذا كان أخر

النهار .... قاتلهم الله يريدون أن يشتتوا المسلمين عن دينهم فيرددون معهم فهي حيلة على الردة أن يردوا الناس عن دينهم ومن يرتد عن دينه فهو كافر قال الله: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

هذا شأن المنافقين ما دخلوا بين صفوف المؤمنين إلا حيلة لإبعادهم عن الحق كما قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۞ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤٢ـ١٤٣].

قال جل في علاه: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۞ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٤ـ١٦].

حيلتهم هذه ليست رابحة وتجارتهم هذه بائرة ولا يستطيعوا أن يعيشوا مع هؤلاء ومع هؤلاء ... فيا أيها الناس الإنسان يجب أن يؤدي للناس ما يجب أن يؤتى إليه وأن يقدم للناس ما يحب أن يقدم إليه بدون تلونات وبدون احتيالات وبدون غش ولا خداع ولا فتنة إي والله إنه لا ينجو يوم

القيامة إلا من كان على ذلك ومن سلمه الله من الفتن قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ [الشعراء:٨٨ـ٩١].

جريمة الزنا

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا * يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إن الله عز وجل خلقنا لعبادته وحذرنا من معصيته قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:٦٩].

وقال الله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا * وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء:٨٠-٨١].

وأخبر الله أن هلاك جميع الأمم كان عن طريق تلك المعاصي الذميمة وتلك الجرائم الوخيمة فأخبر الله جل جلاله عن فرعون: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل:١٦].

وما كان سبب إنزال آدم من الجنة وإخراجه من الجنة إلا بسبب تلك المعصية قال الله عز وجل: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ [طه:١٢١_١٢٢].

وما كان طرد إبليس من الجنة إلا بسبب معصية الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ * وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه:١٢٣_١٢٧].

ألا وإن من أعظم الذنوب وأقبح الفتن والعيوب لهو ذلك البشع الذي لطالما حذر منه القرآن وما حذر منه رسول الله ﷺ في غاية الوضوح والبيان هو ما يفشوا في آخر هذه الأزمنة وما يكون سببًا أيضًا لكثرة الأمراض والأسقام ولكثرة الأوجاع والآلام ولكثرة الفتن بين الناس والأعاصير ذلك البلاء هو بلاء الزنا الذي يقول عنه ربنا الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٣٢].

الفاحشة: كل ما فحش وعظم جرمه واشتد إثمه وساء مسلكًا وسبيلا لمن كان هذا سبيله فإنه مسلك وسبيل سيئ كما يقول ربنا الله عز وجل

لذلك فإن أول بعثة النبي ﷺ وأول دعوته كانت مرتكزة على تنقية المؤمنين من شوائب المعاصي صغيرها وكبيرها ومن ذلك الزنا فقد كان يبايعهم كما أمر الله عز وجل على عدم الزنا ومقدمات الزنا وما يؤدي إلى الزنا قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:١٢].

وما كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بهذه الآية ففي الصحيحين من حديث أم عطية وفي غير الصحيح من حديث عمير أن النبي ﷺ كان يبايع النساء بهذه الآية ففي الصحيحين من حديث: ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾.

فكانت بداية دعوة النبي ﷺ تنقية النفوس عن الشهوات والشبهات التي تخالف الكتاب والسنة هكذا كان يأخذ عليهم البيعة هكذا كان يخاف علينا رسول الله ﷺ من هذا الخطر الذي والله أنه كفيل بإتلاف المجتمع فقد جاء من حديث عبد الله بن زيد عند الطبراني أن النبي ﷺ قال: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي الزنا والشهوة الخفية**».

وقد حذر منه رسول الله ﷺ في كثير من الناس ولا غرابة أن هذه من علامات الساعة التي أبانها رسول الله ﷺ بدليل نبوته فقد قال كما في

الصحيحين من حديث أبي هريرة وجاء عن أنس: «**لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل القتل**».. جاء عن أنس وجاء عن غيره بهذا اللفظ الأخير.

وجاء في خارج الصحيح من حديث أنس أنهم قالوا: يا رسول الله! متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟! قال: «**إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم**» قلنا: يا رسول الله! وما ظهر في الأمم قبلنا؟! قال: «**الملك في صغاركم، والفاحشة في كباركم، والعلم في رذالتكم**» قال زيد تفسير معنى قول النبي ﷺ (والعلم في رذالتكم): إذا كان العلم في الفساق.

قال زيد بن يحيى الذي في سند الحديث معنى ذلك أن العلم يكون في الفساق فإن من أعطاه الله علمًا بالكتاب والسنة ليس من الرذال إنما يكون في لا الفساق وعلى ذلك أدلة يطول ذكرها قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات:١٣].

ولا يمكن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا أن يكون عند الساعة عند تلاطم أمواج الفتن وعند أن يخاف على نفسه الإنسان أن يتكلم على ذلك الكلام وإلا فإن رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

ويقول ربنا: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٤].

وقال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**».

ولا يمكن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا عند قيام الساعة وقرب قيام الساعة وشاهدنا من ذلك أنه من علامات الساعة ظهور الزنا إن هذا الزنا ليبيح دم المسلم المعصوم الدم ويبيح عرضه بالدم أو بالقتل ويبيح أيضًا جوارحه قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة**».

في الصحيحين من حديث ابن مسعود وعن عثمان رضي الله عنه حين أجمعوا على قتله من أهل الخوارج ومن غيرهم أرادوا الفتنة قال إنهم يتآمرون على قتلك قال سيكفيكهم الله يا أمير المؤمنين قال ومما يقتلوني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث زنًا بعد إحصان أو ارتداد بعد إسلام أو قتل نفس بغير حق فقتل به فوالله ما زنيت في جاهلية ولا في إسلام ولا ارتددت منذ بايعت رسول الله ﷺ ولا قتلت النفس التي حرم الله فبم تقتلونني**».

الشاهد منه أنه لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث ومنها الزنا.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**واغدُ -يا أنيس- إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها**».

بعد أن قضى بين ذلك الرجل والقصة طويلة في صحيح البخاري أطول من هذا اللفظ نعم إنه فساد في الدنيا والدين فقد جاء من حديث ابن مسعود «**ما ظهر في قوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله عز وجل**».

وفي مسند أحمد وهو عند الدارمي من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال«**يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا إلى آخر الحديث**»، هذا الأمر الخطير فساد الدنيا والدين نعم والله فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أصحابه لذلك الدعاء أن يستعيذوا بالله من شهواتهم ومن شر شهواتهم كما في حديث شكل بن حميد «**قل اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي**».

والشاهد منه أنه أمره أن يستعيذ بالله من شر منيه الذي يوقع كثيرًا من الناس في الفتن والمحن والبلايا بسبب تلك الشهوة وهكذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء من حديث أبي أمامة قال إن فتًى شابا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا مه مه فقال ادنه فدنا منه قريبًا قال فجلس قال أتحبه لأمك قال لا والله جعلني الله فداءك قال ولا

الناس يحبونه لأمهاتهم قال أفتحبه لابنتك قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم قال أفتحبه لأختك قال لا والله جعلني الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال أفتحبه لعمتك قال لا والله جعلني الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لعماتهم قال أفتحبه لخالتك قال لا والله جعلني الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال فوضع يده عليه وقال: «**اللهم! اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء**».

الشاهد من هذا أن رسول الله ﷺ من أول دعوته يحذر من شيء عظيم؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو قال كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد وكان رجلًا يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة قال وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها: عناق وكانت صديقةً له وإنه كان وعد رجلًا من أسارى مكة يحمله قال فجئت حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة قال فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجنب الحائط فلما انتهت إلي عرفته فقالت مرثد فقلت مرثد فقالت مرحبًا وأهلًا هلم فبت عندنا الليلة قال قلت يا عناق حرم الله الزنا قالت يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم قال فتبعني ثمانية وسلكت الخندمة فانتهيت إلى كهف أو غار فدخلت فجاءوا حتى قاموا على رأسي فبالوا فظل بولهم على رأسي وأعماهم الله عني قال ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي فحملته وكان رجلًا ثقيلًا حتى انتهيت إلى الإذخر ففككت عنه كبله

فجعلت أحمله ويعييني حتى قدمت المدينة فأتيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أنكح عناقًا فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرد علي شيئًا حتى نزلت الزاني لا ينكح إلا زانيةً أو مشركةً والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فقال رسول الله ﷺ يا مرثد الزاني لا ينكح إلا زانيةً أو مشركةً والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك فلا تنكحها».

الزنا من أسباب غضب الله قال رسول الله ﷺ :«**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم -قال أبو معاوية: ولا ينظر إليهم- ولهم عذاب أليم: شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر**».

فذلك الشيخ الذي لا مأرب له في الزنا وقد صارت رغبته ضعيفة وما زال يتطلع إلى الزنا؛ هذا يوم القيامة يتعرض لغضب ربه حتى إنه لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ۞ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠].

وفي صحيح البخاري من حديث سمرة بن جندب قال: كان النبي ﷺ إذا صلى صلاةً أقبل علينا بوجهه فقال: «**من رأى منكم الليلة رؤيا؟!**» قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول ما شاء الله فسألنا يومًا فقال: هل

رأى أحد منكم رؤيا؟! قلنا: لا. قال: «**لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد قال بعض أصحابنا عن موسى إنه يدخل ذلك الكلوب في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله قلت ما هذا قالا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ به رأسه فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه قلت من هذا قالا انطلق فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نارًا فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت من هذا قالا انطلق فانطلقنا..** -وفي آخر الحديث قال:- **والذي رأيته في الثقب فهم الزناة..**» الحديث.

وثبت من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانطلقنا فأتينا على مثل بناء التنور وإذا فيه لغط وأصوات قال فاطلعت فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لهيب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا قال: قلت: ما هؤلاء؟! قال: قالا لي: انطلق انطلق ثم قال في الحديث: «**وأما الرجال والنساء العراة الذين في بناء مثل بناء التنور فإنهم الزناة والزواني وأما الرجل الذي يسبح في النهر ويلقم الحجارة فإنه آكل الربا وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها فإنه مالك خازن جهنم**

وأما الرجل الطويل الذي رأيت في الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة قال فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ : وأولاد المشركين، وأما القوم الذين كان شطر منهم حسنًا وشطر قبيحًا فإنهم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا فتجاوز الله عنهم».

الشاهد منه أن هذه جريمة تسبب عذاب الله في الدنيا والآخرة وأن من كان عنده قدرة على دفاع هذه الجريمة بوسائله التي تتسبب إليها كان واجبًا على ذلك رعاية لأمته ودنياهم قال رسول الله ﷺ : «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»، هكذا يقول النبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث أنس وقال ﷺ : «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا وشبك بين أصابعه**»، وقال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**».

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا مباركًا فيه أما بعد:

فقد أبان رسول الله ﷺ أن من استعف عن هذه البلوى وعن هذه الجريمة الكبيرة أنه يضمن له الجنة ما ضمن ذلك الإنسان ما بين لحييه ففي

الصحيح صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد عن رسول الله ﷺ قال: «**من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة**».

وجاء خارج الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة**».

هذا الإثم رافعًا للإيمان حال فعله رافعًا كليًّا إن استحله صاحبه، فقد ثبت من حديث أبي ذر في الصحيحين وأبو هريرة وعائشة خارج الصحيح «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبةً يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه**»، هذا يبين أنها لا تقوم الساعة حتى يحصل في الناس ذلك الشر فقد قال ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، يتسافدون تسافد الحُمُر**» أو قال: يتهارجون تهارج الحمر، أناس لا يبالون بالزنا فهذا يرتكب الفاحشة ولا يبالي والآخر لا ينكر عليه، هذا من أسباب لعنة بني إسرائيل قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[المائدة:٧٨-٧٩].

في الصحيحين من حديث ابن عمر وفي خارج الصحيح من حديث النعمان وغيره انطلق «**ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا فنأى بي في طلب شيء يومًا فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج قال النبي ﷺ وقال الآخر اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها قال النبي ﷺ وقال الثالث اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلي أجري فقلت له**

كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت إني لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون». فالعفة عباد الله عن هذه الجريمة مع توحيد الله جل جلاله من أفضل الأعمال وأجلها عند رب العلمين وهكذا يقول النبي ﷺ **«وما من رجل من القاعدين يخلف رجلًا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم»**.

الإسراف

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: إنه مما لا شك أنه ما من مصيبة تحصل في الدنيا إلا بذنب يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى:٣٠].

وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن:١١].

ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ [الرعد:١١].

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال:٥٣].

وقال عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [الروم:٤١].

وقال عز وجل: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [السجدة:٢١].

وقال: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [القلم:٣٣].

يا عباد الله! إن نعم الله على عباده تتوالى ولا تزول ولا تتغير ولا تتبدل إلا بسبب المعاصي والذنوب والفتن الظاهرة والباطنة وإن مما ابتلي به الناس الأقدمون والآخرون ومما هلك به بنو إسرائيل هو الإسراف على النفس بالمعاصي بشتى أنواعها دقيقها وجليلها يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة:٣٢].

بعد البينات وبعد الحق وبعد الوضوح وبعد قيام الحجة استمروا ولجوا في ظغيانهم فكان عليهم ما أخبر الله في كتابه من اللعنة والخسران.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[الأعراف:٨٠].

وقد علمتم ما حصل لقوم لوط وما فعل الله بهم بسبب مجاوزة الحد وبسبب الإسراف الذي أتوا به قال الله جل في علاه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود:٨٢-٨٣].

أهلك الله قوم لوط ودمرهم ونكبهم وأمطر عليهم الحجارة بسبب إسراف وتجاوز في حرمات الله بمعصية واحدة تعدوا حرمات الله وحدوده قال الله جل جلاله: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق:١].

وقال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة:١٨٧].

وقال النبي ﷺ: «**إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله**».

إن من نظر في كتاب وسنة رسول الله ﷺ ليرى أن من أسباب الهلاك الذي يقع فيه هو الإسراف على الأنفس والتجاوز للحدود.

الإسراف ينكر نعمة الله على العبد يا عباد الله يجعل العبد ينسى نعمة الله عليه قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:١٢].

ويقابل نعمة الله عليه بالتمادي والجحود والإعراض.

وأنت إذا قرأت كتاب الله ترى أن الإسراف في الباطل والمعاصي والتمادي في ذلك يجعلك تحرم الهداية قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر:٢٨].

قد يُمنع العبد الهداية بسبب الإسراف ينكر النعمة والتمادي في الباطل والإصرار على المعاصي أجل نعمة هي نعمة الهداية فاذكر نعمة الله عليك ولا تسرف فيها وإلا فالله عز وجل سيذيقك العذاب بالمعاصي ويمنعك الهداية وهذا والله لهو العذاب العظيم أن تحرم هداية الله.

الإسراف يجعل الضلال على العبد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر:٣٤].

فمن تمادى في الباطل أضله الله بل يخشى على المسرف من عذاب الله قال الله عز وجل: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ * فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٣-٤٥].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء:٣٣]، الله قد جعل للولي سلطانًا فلا يقتل غير القاتل سواءً ولي القاتل أو ابن عمه أو أحد من عشيرته ولا يعتدي ولا يتجاوز.

الإسراف من أسباب زوال النعمة يقول رب العالمين: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١].

الإسراف في شراء الدخان لا يحبه الله، الإسراف في أكل القات لا يحبه الله، الإسراف في أكل المحرمات والمكروهات وغير المشروعات لا يحبه الله.

والإسراف هو: تجاوز العبد فإن ذلك لا يحبه الله ولا يحب الله فاعله بسبب هذا الاعتداء والتجاوز إنه لا يحب المسرفين.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ * وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه:١٢٤-١٢٧].

وقال الله جل في علاه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ * وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ * ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنبياء:٧-٩].

وقال الله جل جلاله: ﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ * قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ * لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾

[الذاريات:٣١ـ٣٤]. حجارة مسومة مرسلة من الله عز وجل للمسرفين الذين يتمادون في الباطل.

ألا فليتق الله كل إنسان في نفسه ولا تسرف على نفسك قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات:٩ـ١١].

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أما بعد:

فلا خلاص من الإسراف إلا بالتوبة كما أبان الله جل في علاه في كتابه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٣ـ٥٥].

فلا خلاص من ذلك إلا بالتوبة إلى الله وإلا فإن الله جل جلاله قد توعد هم فقال الله عز وجل: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا

عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ * أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف:١-٥].

على بعض التفاسير: هل تظنون أننا نترككم تتمادوا في ألإسراف وفي الباطل ونعرض عنكم الذكر صفحًا ولا ينهاكم عذاب ولا ينهاكم عقاب ولا بطش من الله تبارك وتعالى لا.

فنعم إن الله سبحانه وتعالى لا يغفل عن المشركين قال الله جل في علاه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم:٤٢-٤٣].

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**أن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**».

إضاعة المال من أنواع الإسراف وإلا فإن الإسراف أوسع من إسراف المال فقد يكون الإسراف بالزنا وقد يكون الإسراف باللواط وقد يكون الإسراف في وضع المال في غير موضعه وقد يكون الإسراف في مسائل شتى من أمور حددها الله عز وجل وتجاوزها العبد فمن تعدى حدود الله فهو مسرف.

الإسراف خطر عظيم أوسع مما يتخيله بعض الناس كل من اعتدى وتجاوز الحد وارتكب محرم فقد أسرف وقد اعتدى وتعدى وقد عرض نفسه لعذاب الله إلا أن يتوب الله عليه أو يتجاوز عنه.

وروى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «**أن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**».

فالقيل والقال من الإسراف وكثرة السؤال هذا من الإسراف أإضاعة المال أيضًا من الإسراف ومن أعظم الإسراف في عبادة الله أن يترك العبد عبادة الله لغيره.

إن الإسراف يجب أن يجتنب ويبتعد ويتخلص منه العبد بالتوبة والاستغفار كما أرشد صلى الله عليه وسلم: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين يا معشر النساء أكثرن من الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة وما لنا أكثر أهل النار يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير**».

وقال صلى الله عليه وسلم: «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**».

فلذلك أمرهن بالتصدق من أجل الإسراف الذي حصل منهن فيلا صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بالعاص أو ابن عمر.

وهكذا يقول النبي ﷺ حين ينصرف من صلاته وأستغفر ثلاثًا استغفر الله استغفر الله استغفر الله وهو رسول الله ﷺ ويستعيذ بالله مما يحصل منه: عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير.

رسول الله يتوب إلى ربه سبحانه مما جرى منه من الإسراف وهو معصوم عليه الصلاة والسلام لكنه متواضع مع ربه وإلا فهو معصوم أن تحصل منه تلك الكبائر لكنه تواضع لله عز وجل وإلا فإن الله عصمه من الإسراف في كبائر الذنوب وأنت تسرف على ربك ليل نهار فيجب عليك أن تتوب إلى الله.

وقال رسول الله ﷺ: «**يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني أغفر لكم**».

من فوائد الصبر

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۞ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: يقول الله جل جلاله: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء:٣٦].

ويقول الله عز وجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١-٢٢].

وما خلق الله العباد إلا لعبادته والصبر عليها قال فما بعث الله من نبي إلا كانت دعوة إلى التوحيد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل:٣٦].

ويقول سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢١].

ويقول الله عز وجل ويقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

فأنت عبد لله أيها الإنسان مأمور بالتعبد لله والصبر عليها والتذلل له عز وجل وبالصبر على عبادة الله قال الله تبارك وتعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

فهذه الآية جمعت بين أنواع التوحيد الثلاثة والله سبحانه وتعالى يقول فيها: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

ذلك أن عبادة الله لا تتأتى إلا لمن صبر عليها وسواء كان ذلك في الطهارة أو كان ذلك في الصلاة أو كان ذلك في الصيام أو كان ذلك بأداء الزكاة أو كان ذلك بأداء الحج أو العمرة أو كان ذلك أيضًا بالخلق الحسن يقول الله جل في علاه: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥].

تلك الأخلاق التي هي من أجل العبادات الأخلاق الفاضلة لا يلقاها إلا من صبر على طاعته ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم ولهذا كلمة هذا حظ

عظيم فلذلك لو قال الإنسان هذا حظي حصلت على كذا وكذا فلا مانع من ذلك فإن الله يقول ذو حظ عظيم.

إن عبادة الله التي أثنى عليه سبحانه على أنبياءه ورسوله وعلى التابعين من بعده تحتاج منك أيها الإنسان إلى صبر عليها فلذلك الله عز وجل أثنى على عباده بالهداية والصبر عليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ * قُمۡ فَأَنذِرۡ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ * وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ * وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [المدثر:١-٧].

فأمره الله جل جلاله أنى يصبر لربه مع لذة العبادة وحلاوتها لا تأتي غلا بالصبر لا شك أنه ما عمل منك إلا ويحتاج منك إلى صبر.

ولهذا ففي مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال:«**ألا أدلكم علي ما يمحو به الله الخطايا ويرفع به الدرجات؟!**» قالوا: بلي يا رسول الله! قال: «**إسباغ الوضوء علي المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**».

إسباغ الوضوء على المكاره أي في حالة يكره الإنسان فيها مس الماء وكثرة الخطى إلى المساجد قال النبي ﷺ: ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار.

وانتظار الصلاة بعد الصلاة فيه حث النفس على طاعة الله فكل هذه تحتاج منك إلى صبر وهكذا قيام الليل ثبت عن النبي ﷺ أنه قال رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء

رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضجت في وجهه الماء.

وذلك يحتاج إلى صبر ومصابرة وأنه قد يقوم وهو مثقل بالنوم والتعب قال الله عز وجل: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦].

يؤيد ذلك أن النبي ﷺ كان يصبر على قيام الليل حتى تتفطر قدماه فقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله لما تصنع بنفسك هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال: أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا.

وابن مسعود رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ فأطال حتى هممت بأمر سوء. قيل: وما هممت به؟! قال: (هممت أن أجلس وأدعه).
وفي رواية: قال: هممت أن أجلس وأدعه.

إن هذه حياة الصبر على طاعة الله يفلح بها الصابرون.

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج:٧٧].

ما من فعل خير إلا ويحتاج منك إلى صبر عليه قال الله جل في علاه: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤].

وأنت ترى أن الناس يهرعون إلى الباطل وإلى الراحة والنوم ومما يعانيه كثير من الناس من ملاهي الدنيا وذلك طالب العلم الذي يصبر نفسه على

هذه العبادة العظيمة وهي عبادة متعدية للناس وليس مقتصرًا على صاحبها بل تنفع صاحبها وغير صاحبها يوم القيامة فلهذا اصبر على هذه الطاعة قال الله جل جلاله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

الصبر على عبادة الله فوائده وثماره كثيرة لربما إن أردت أن تراجع سورة من القرآن تتمرد نفسك وتماطل وتتملص عن حفظ تلك السورة أو مراجعتها فإذا أنت صبرت نفسك بطاعته انتصرت على تلك النفس الأمارة بالسوء وهكذا تتمرد النفس بمجالسة الصالحين ولا ترضى بذلك فإن أنت صبرت نفسك على ذلك من عبادة الله انتصرت وأفلحت بذلك قال الله عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

إن الذين يعون الله بالشهوات والشبهات هذا كله من عدم مصابرة النفس على طاعة الله فلهذا ترى في هذه الآية: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨].

الصبر في هذه الحياة أمر لابد منه ولا يتأتى مسلم إقامة دين الله إلا أن يصبر على طاعة الله فقد قال ﷺ «**عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له**».

هذه صفات المؤمنين شأنهم الصبر في كل آلامهم والثبات على الصبر أيضًا قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

وقد أفلح سحرة فرعون الذين ماتوا على الاستقامة وعلى دين الله كل ذلك بما ذكره الله عنهم بالصبر قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ * قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ * إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه:٧١-٧٣].

وقال الله جل في علاه: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠].

فكل ألأعمال لها حساب ويضاعف الله لمن يشاء الحسنة بعشر أمثالها ويضاعف الله لمن يشاء.

وأما الصبر على طاعة الله فإن الله يجزي الواحد أجره بغير حساب لذلك قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره وإذا لقاء ربه فرح بلقاء ربه.

وشاهدنا من الحديث وأنا أجزي به، أي: أختصه بفضل عطائه وعظيم كرمه.

قال النبي ﷺ: «**ما من خارج يخرج -يعني من بيته- إلا ببابه رايتان: راية بيد ملك، وراية بيد شيطان؛ فإن خرج لما يحبه الله أتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يسخط الله أتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته**».

فمن الناس من يصبر على الخير ومنهم من يصبر على الباطل يقول الله عز وجل: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤].

ومعنى ذلك أن الكافرين أيضًا يحصل لهم الألم يصبرون ولكن على معصية الله بل إن بعضهم يموت وهو يصبر على عبادة غير الله قال الله

تعالى: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:٦].

يقم بعضهم بعضًا على معصية الله ذلك لأنهم يصبرون وليس معناه أنهم لا يتعبون ولا يقدحون وأنهم لا يجدون الألم بلى إنهم يجدون المرارة والأذى والأسى ولكن على الباطل فأنت أحق أيها المسلم ا، تصبر على طاعة الله كما أمرك الله فستفيد بذلك قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

إننا رأينا كثيرًا من الناس لا يستطيع أن يصبر على تعلم دين الله وعلى عبادة الله فيبقى بقية عمره لا يعرف شيئًا من دين الله ولا من السنة فلا هو صبر على دين ولا على طاعة الله ولا هو صبر على التفقه في دين الله قد قرن الفلاح بالصبر قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

فالمعاصي إذا لم يصبر عنها الإنسان يقع فيها وفاعل الطاعات إن لم يصبر عليها الإنسان فيبعد عنها إما بشهوة أو بشبهة ومسائل دنيوية يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣١-١٣٢].

لا تمدن عينيك مجرد العين والتطلع إلى ذلك ربما يحصل للإنسان أن يغتر بتلك المتاع الزائل قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۝ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ أما بعد:

يقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤].

فأخبر الله أن العبادة تحتاج إلى صبر فقد سمى الله تعالى العبادة صبرًا فلا شك عباد الله أن من وفق للصبر وفق لخير كثير في سائر العبادات بسبب صبره على الدنيا وزينتها وصبره على طاعة الله والقيام فيها.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه

فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال: «**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**».

فأعظم عطاء يعطاه الإنسان في هذه الدنيا هو الصبر فالغضب من الشيطان فقد جاء من حديث سليمان بن صرد أن النبي ﷺ رأى رجل قد أحر وجهه وانتفخت أوداجه فقال إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد فمعنى ذلك أنه بسبب الاستعاذة من الشيطان يرفع الله عنه ما يجده من الشيطان إن الصبر يعتبر قوة على طاعة الله وقوة في البعد عن معصية الله ويعتبر قوة على ملاقاة أقدار الله قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجدنا خير عيشنا بالصبر وقال النبي ﷺ كما في الصحيح: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**».

يدل هذا أن الذي يصبر عند الغضب أو على غيره أو على جاره أو على القريب والبعيد من الناس أن هذا يعتبر قويًا.

نعم عباد الله إن الصبر هو البر وهو من أعظم البر ومن أعم أعمال البر قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى

ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

لا يتأتى خير لهذا الإنسان إلا بالصبر ففي الصحيحين من حديث عبادة قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.

وكل هذه المذكورات في هذا الحديث لا يتأتي إلا بالصبر الصبر والطاعة لله تعالى فهو لواء المسلمين والصبر على الأثرة أن يزيد إنسان بمال دونه يحتاج منك إلى صبر وإلا فقد تأتي بما يضرك وعدم منازعة ولي الأمر مع ما يحصل منه أيضًا إما من ظلم وإما من أثرة وإما من غير ذلك فيحتاج منك إلى صبر وهكذا كلمة الحق تتجرع مرارتها وتخرجه من فيك فربما تتوقع أذى من سب أو شتم أو ضرب أو قتل أو غير ذلك مما يبتلى به ولكن تقولها احتسابًا لله تعالى لا تخاف في الله لومة لائم.

نعم عباد الله قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ * وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

فلذلك الصبر يحتاج في طاعة الله وعلى معاصي الله وعلى أقدار الله.

عدم النظر في العواقب

الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله لا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠].

ويقول الله جل في علاه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين:٥].

ويقول الله جل جلاله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

ويقول الله عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤].

ويقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨].

فهذه الأدلة بيان من الله سبحانه وتعالى على أن الإنسان يجب عليه أن يتدبر ما يحصل عليه من الأضرار أو ما يحصل له من الخوف مما يعمله من صلاح أو فساد ولا يكون غافلًا عما يترتب عليه من المعاصي ولا ما يحصل له من الخير وقد حث الله تعالى على النظر في عواقب الأمور بقدر ما يمكن الإنسان قال الله جل في علاه: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣].

فأخبر الله عز وجل على أن العاقبة للمتقين وما أخبر بذلك إلا ليعلم الناس وليعمل الناس لتلك العاقبة وينظر ما يحصل له من تلك العاقبة ويعمل العمل الصالح لتلك العاقبة قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه:١٣٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل:١١٢].

ضرب الله هذا الأمثلة وأخبرنا بتلك القصص الماضية لنتدبر في عواقب الأمور وما حصل لهم من الدبور أعني الذين أخبر الله عنهم ما فيه من الفتن ألا فلينظر كل امرئ في نفسه وما يحدثه من معصية الله جل في علاه وليعلم أن عاقبة ذلك عليه خسرًا.

قال الله جل جلاله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا * أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ [الطلاق:٨ـ١٠].

فأخبر الله عن تلك القرى بمعنى أن من سار على ما سارت عليه أن عاقبة أمرها خسرًا.

وقال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ:١٥ـ١٦].

ما تفكروا ما يحدث عليهم من الفتن وكانوا في نعمة فأصبحوا في نقمة بسبب بغيهم على الله وعلى دينه.

أيها الناس إن من تدبر عواقب الأمور والنظر في مآلها لهو من شأن العقلاء وإن الطيش وعدم النظر في عواقب الأمور هو شأن السفهاء سفهاء الأحلام كما وصف النبي ﷺ الخوارج بذلك سفهاء الأحلام.

تدبر عواقب الأمور موجود ذلك في الكتاب والسنة وأمر الله بذلك عليه ففي الصحيحين من حديث من حديث أبي هريرة سمع رسول الله

ﷺ يقول «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق**».

وفي رواية ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها سخطه إلى يوم القيامة وإن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أنها تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة.

كلمة يقولها الإنسان ولا تدبر في عاقبتها قد نهوي به في النار وكلمة يقولها ألإنسان ولا يحسب لها حسابًا تعتبر عبادة.

وانظر في أهل النار كم سيتحسرون ويعضون على أناملهم بسبب أنهم ما نظروا في عواقب الأمور كما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

ما نظروا في عواقب الأمور قال الله جل جلاله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۞ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۞ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٤].

فإنهم ما نظروا في عواقب الأمور ويتمنون أن يخرجوا ليعملوا عملًا صالح لأنهم ما نظروا في عاقبتهم ما نظروا في تلك العاقبة.

قال الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠-١١].

يعلمون هناك أنهم ما كانوا يعلمون عواقب الأمور فيشهدون على أنفسهم بذلك.

النظر في عواقب الأمور يعتبر منة على العبد من الله عز وجل.

نعم إن النبي ﷺ كان ينظر عواقب الأمور حتى في المنافقين مع ما هم عليه من بغيهم للإسلام عندما قال عمر يا رسول دعني أضرب عنقه فقال النبي ﷺ لا لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه.

فأرجع أمرهم إلى الله تبارك وتعالى ولم يقتل منهم أناس وهو من الكفار وهو ابن أبي قبحه الله لكنه ألبس الكفر بالإسلام فهذا يشبه على الناس ربما بعضهم يجعله يرتد عن دين الله أن محمدًا يقتل أصحابه.

وقال النبي ﷺ: «**يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالأرض وجعلت لها بابين بابًا شرقيا وبابًا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فإن قريشًا قصرت بهم النفقة عن جعلها على قواعد إبراهيم**».

وترك ذلك الأمر من أجل ما يحصل من الناس بسبب أنهم حديثو عهد بكفر ترك ذلك نظرًا في العاقبة وخوفًا مما يحصل من الناس مما سيعمل رسول الله ﷺ أنهم حديثو عهد بكفر ويخشى عليهم من ذلك.

إن النظر في العواقب هو هو أمر محتم على كل إنسان بصير عليه أن ينظر عاقبة أمره.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ * يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ * يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢١ـ٣٠].

يتمنى أن نظر في عاقبة أمره وأهل النار يتمنون أن يعودوا للدنيا لأنهم ما نظروا في عاقبة أمرهم قال الله جل في علاه: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف:٧٧ـ٧٨].

وقال الله جل جلاله: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ * قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ

ٱلْعَذَابِ ۞ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴾ [غافر:٤٧-٥٠].

إن عواقب الأمور التي لا يتفكر فيها ولا يحسب لها حسابها ويقدر لها قدرها إنها تكون ندمًا قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۞ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٧٦-٧٧].

و الله تعالى يحثنا ويأمرنا أن ننظر في عواقب الأمور قال الله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [غافر:٢١-٢٢].

وقال الله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ * ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الروم:٩-١٠].

وكل هذا حث من الله وأمر من الله لنا أن نتفكر في عواقب الأمور وينظر في الأمر هل يصلح أم لا يصلح وقال رسول الله ﷺ: «**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ثلاث ليال إلا ووصيته عنده مكتوبة**».

هذا من الخوف من الله والتزود للدار الآخرة أن ينظر في عواقب الأمور فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:٣٤].

وإذا تكلم بالكلمة فلينظر في عاقبتها وإذا عمل عملًا ينظر في عاقبة ذلك وإذا أمر بصلاة أو صيام أو زكاة أو حج فلينظر في عاقبة ذلك حتى لو جاء يوم القيامة يستطيع أن يتضرع الله بذلك العمل الذي عاقبته لله وهو خالص لله أم لغير الله إن العبد إذا عمل العمل وهو ينظر في عاقبته ويخلص فيه فإنه يكون صالحًا أما عمل بغير أخذ لا ينفع وانظر على عاقبة الأعمال الصالحة أيغفر الله ذنبه عاقبة الصيام غفران الذنوب، «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفرت خطاياه**».

سواء في الوضوء ذهبت خطايا من يديه ومن وجهه ومن قدميه وإذا صلى غفرت ذنوبه حتى عواقب الصلاة وعواقب الصيام وعواقب الأعمال يتفكر الإنسان أهي لله أم لغير الله ألا فليتق الله امرئ في نفسه ولينظر في

عواقب الأمور وليعلم أن عاقبة أمره خسرًا إن كان عمله بطالًا وأن عاقبة أمره خيرًا إن كانت الأعمال صالحة.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا أما بعد:

فقد ثبت عن النبي ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها أنه ذهب إلى ابن عبد ياليل فعرض نفسه عليه ليؤيه حتى ينصر دين الله فرد عليه دعوته فخرج رسول الله ﷺ وهو مغموم حتى بلغ قرن الثعالب فاستفاق النبي ﷺ أو رفع رأسه فإذا جبريل يناديه يا محمد!

إن هذا ملك الجبال يناديك إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فغلت قال لا إني أحب أو أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله.

رموه وشتموه وآذوه وأبلي في الله بلاء حسنًا ومع هذا كله انظر ماذا في أخر هذا ما يحصل من ذلك الأذى من ذلك الضرر فماذا بعد ذلك صار منهم من يعبد الله هم أنفسهم وأبناؤهم صاروا حاكمين لبلاد الشرق والغرب نظر رسول الله ﷺ إلى عواقب الأمور.

وكذلك قضية الحسن رضي الله عنه عندما تنازل عن الخلاف نظرًا للعواقب وبسبب حديث أبي بكرة رضي الله عنه عندما قال النبي ﷺ إن ابني هذا سيد

وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين بعد ذلك كان النظر من الطرفين من الحسن ومن معاوية فسمي ذلك العام بعام الجماعة الذي كان ذلك من حسن النظر في عواقب الأمور من الحسن رضي الله عنه ومن معاوية رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

النظر في عواقب الأمور أمر مطلوب.

إن الأنصار رضي الله عنهم ما بلغوا تلك القمة أي في طاعة الله والثناء عليهم إلا لما رأوا من عواقب الأمور وما يعود على الإنسان في الدار الآخرة.

قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد تعبوا من الرحى والسقي ثبت في السنن أتت الأنصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجماعتهم فقالوا: إلى متى ننزع من هذه الآبار فلو أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدعا الله لنا ففجر لنا من هذه الجبال عيونًا فجاءوا بجماعتهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما رآهم قال: «**مرحبًا وأهلًا لقد جاء بكم إلينا حاجة**»، قالوا: إي ـ والله ـ يا رسول الله! فقال: «**إنكم لن تسألوني اليوم شيئًا إلا أوتيتموه ولا أسأل الله شيئًا إلا أعطانيه**» فأقبل بعضهم على بعض فقالوا: آلدنيا تريدون فاطلبوا الآخرة فقالوا بجماعتهم: يا رسول الله! ادع الله لنا أن يغفر لنا. فقال: «**اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار**» قالوا: يا رسول الله! وأولادنا من غيرنا. قال: «**وأولاد الأنصار**».

وهكذا أبو بكر رضي الله عنه لما حصلت الردة في زمنه نظر في ذلك الخطر والسكوت على ذلك المنكر فما وسعه ذلك قال: «**والله! لأقاتلن من فرق بين**

الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها».

إن الصلاة والزكاة قرينان وكان بعض الصحابة عمر بن الخطاب وغير ه يقولون يا أبا بكر كيف تقاتل من قال لا إله إلا الله فأخبرهم بذلك من أجل أن يرد الناس عن الانحراف وعاقبة ذلك أن العرب لا يبالون بالإسلام ولا يبالون بخليفة المسلمين أبو بكر رضي الله قوم سيفه على أولئك المرتدين وجمع الله شمل الصحابة رضوان الله عليهم على ما قاله أبو بكر وقاتل أولئك فلذا قيل: إن الله حفظ الدين بأبي بكر في الردة وبأحمد في المحنة.

إن هذا من تفكير أبي بكر الثاقب في عواقب الأمور كذا يذكر أهل العلم أنه لو سكت على أولئك المرتدين لاستهين بأبي بكر في خلافته عند العرب وغيرهم فلما رأوا ما حصل لأولئك المرتدين بعضهم من بقي ذليلاً ومنهم من أرغم على الإسلام وصار فيها بعد من أهل الحق وبقيت شوكة الإسلام قوية وراية الإسلام خفاقة النظر في عواقب الأمور هذا من تدير أمراء المسلمين فلذا يجب أن يتفكر ما يعود من الأمور من الأضرار والأخطار وما يترتب على ذلك من الأحكام وما ينبني على ذلك لذلك نهى رسول الله ﷺ عن الفتوى في ساعة الغضب ومن الفتوى كذلك ممن لا يعقلها ولا يتدبرها قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣].

قال ما يعقلها والتعقل هو التفكر في معانيها وأغراضها وأخطارها وما يترتب عليها من أحكام وما إلى ذلك.

نسال الله التوفيق لما يحبه ويرضاه..

والحمد لله رب العالمين..

فهرس الموضوعات